رواية

د.ياسر عبد السلام

خلف الظلال

قلب الأسد



خلف الظلال

قلب الأسد

اسم الكتاب: خلف الظلال (قلب الأسد)

اسم المؤلف: د. ياسر عبد السلام

تصميم الغلاف: عبد الرحمن محمد

إخراج داخلي: يوسف الفرماوي

المراجعة اللغوية: تمام محمد

رقم الإيداع: 2021/23352

الترقيم الدولي: 9789776842838





ebharpuplishing@gmail.com 01099197450

رواية

خلف الظلال

قلب الأسد

د. ياسر عبد السلام





إهداء

إلـى روح الدكتـور أحمـد خالـد توفيـق، إلـى مـن فتـح عقـول جيلنـا للإبـداع والخـروج مـن دائـرة المعقـول؛ عـرَّاب هـذا الجيـل. إلـى روح والـدي، وإلـى والـدتي وإخـوتي. إلـى زوجتـي –حبيبتـي– وأولادي، وإلـى أصدقائـي وزملائـي. إلـى كل مـن هـو ليّـن هيّـن حسَـن الخلـق في هـذه الدنيـا، أهـدي هـذا العمـل.

اللقاء

غمرت مشاعر السعادة وجوه الأطفال في المرحلة الابتدائية، وهم يتقافزون ويمرحون في ساحة ملعب المدرسة؛ يستعدون لمغادرة مدرستهم بعد انتهاء آخر امتحان في مرحلتهم، ويودعون بعضهم البعض، بينما جلست خديجة تراقبهم عبر نافذة غرفة المدرسين المطلة على الساحة، في حين انشغل باقي زملائها في تجميع أغراضهم، واقتربت منها زميلة لها قريبة منها سنًا:

- أراكِ شاردة الذهن اليوم!

انتفضت خديجة كأنما تستيقظ من حلم جميل، قبل أن تنظر لزميلتها وابتسامة مريحة تطل من وجهها:

- إنني فقط أستمتع برؤية الأطفال يا سوزان.

ابتسمت سوزان هي الأخرى وهي تجلس أمام خديجة:

- بل هنالك شيء آخر.

ألقت خديجة نظرة أخرى من النافذة قبل أن تعود لصديقتها:

- إنه أبي، لا يكف عن محاولاته كي أتزوج.

ثم أخذت نفسًا طويلًا وأطلقته من صدرها، يحمل لهيبًا حارًا وهي تستطرد:

- اليوم حجز لنا في السيرك بالمقطم ومعنا أحد أصدقائه، وأكاد أن أجزم أن صديقه هذا سيأتي بابنًا له معه -كالمعتاد- ليقابلني صدفة -كالعادة أيضًا- ثم يأتي والدي ليفاتحني بعدها في رغبته بالزواج بي، ككل مرة خرجت مع والدي وأصدقائه.

ضحكت سوزان ضحكة قصيرة قبل أن تسألها:

- وما الذي يضايقك في هذا؟

- أنتِ تعلمين يا سوزان أن ظروفي لا تسمح بالزواج.

هزت سوزان رأسها مستنكرة:

- لا، بل تسمح، لا يمكن أن تظلي أُمًّا لأخيكِ الصغير، ولا بديلة لوالدتك في البيت.

أطرقت خديجة بنظرها نحو الأرض كأنما تذكرت ظروفها:

- لن أستطيع ترك أخي الآن؛ السنة القادمة بالنسبة له هي الثانوية العامة، وهي -كما تعلمين- مرحلة مهمة في حياته.

- يجب أن تكفِّي عن فعل هذا، أنتِ تهتمين به منذ أن توفيَت والدتك وهي تلده، رغم أن عمرك وقتها لم يتعدَّ الخمس عشرة عامًا، إلا أنك قمتِ بأعمال البيت كاملة كأي سيدة منزل ناضجة، حتى أن والدك لم يحتج يومًا لعاملة أو زوجة بديلة لترفع عن عاتقك هذا الحمل.

- هو لم يفكر أبدًا في بديلة لأمي.

- والآن لقد كبرتِ وتعدّى عمرك الثلاثون وكبر أخوكِ، ووالدك يريد أن يطمئن عليكِ ويراكِ في بيتك، وهذا حقٌّ أصيل من حقوقه عليك.

شردت خديجة بنظرها وهي ترى الأطفال يتدافعون:

- أعلم هذا، ولكن ربما فقط ينتظر والدي هذا العام.

- لا، هو حينه، وأخوكِ لم يعد بحاجة إليكِ.

لم تحاول خديجة أن تجادل صديقتها أو حتى أن تعترض عليها، بل ظلت هائمة النظرات وشاردة الذهن،

حتى وهي تجلس في عربة المترو تنظر من نافذته نحو اللاشيء.

ماذا عساها أن تقول لها؟

وماذا عساها أن تقول لأي أحد؟

تقول إنها على مدار الأعوام وهي ترعى أخاها ومنزلها ووالدها نمى بداخلها أنثى طاغية! أنثى تبحث عن حب أسطوري ومشاعر متأججة، أنثى رفضت أقرانها لأن مشاعرها تعدت مراحلهم العمرية!

تعدت حب الشباب ووصلت لمرحلة نضوج جعلها تنظر نحو أقرانها كأنهم أطفال صغار!

حب جعلها تبحث عن شعر أشيب.

تبحث عن رجل وليس شاب.

تبحث عن زوج وأب.

تمنت لو أنها وجدته في حياتها اليومية، وسط القلوب المحيطة وليس داخل مقابلات مُحَضرة مسبقًا،

ولكنها لم تجده.

وهي تعلم أن عمرها يمضي، وتتمنى لو أن هذا العمر يتمهل حتى تحقق حلم والدها لتتزوج، ولكن للشخص الذي حلمت بوجوده السنوات السابقة.

ظلت خديجة في رحلتها الهائمة حتى وصلت إلى بيتها، والوجوم يكسو ملامحها،

ولم تفلح محاولات والدها -حمدي- لإضافة شيء من المرح لوجبة الغداء، وإن كانت ابتسامة مصطنعة مرسومة بعناية ظلت على وجهها، حتى لا تشعر والدها بشيء مما يختلج في صدرها.

حتى جاءت اللحظة الموعودة، حيث ارتدت ملابسها وصحبت والدها ليجدا صديق والدها يقف منتظرًا إياهما أمام البوابة العريضة لخيمة السيرك. وكم كانت فرحتها وهي ترى صديق والدها هذا وقد وقفت معه ابنته ومعها طفلان، لا يتعدى عمر أكبرهما الثلاث سنوات، في حين حملت هي الرضيع الآخر وقد تهللت أساريرها عندما وقعت عينيها على خديجة.

تبادل الطرفان التحية والقبلات، ليتقدم العجوزان

الموكب الصغير، يتبعهما الشابتان والطفلان، وقد تعرفت خديجة على صديقتها الجديدة التي عرفت أن اسمها ميرنا.

كانت ميرنا شابة متكلمة بشوشة الوجه، تظهر صرامة كل حين وآخر وهي تنظر نحو طفلها لتوبخه أو تنهره أثناء سيرهما:

- بصراحة أنا لا أحبذ تلك اللقاءات ولكنني أعجبت بكِ عندما رأيتك.

قالتها ميرنا بشكل مفاجئ مما أثار حفيظة خديجة وجعل ملامح وجهها تكفهر وهي تسأل:

- ماذا تقصدين بتلك اللقاءات؟

أجابت ميرنا بمرح:

- تلك التي يتفق فيها الأهل على ترتيب لقاء يجمع العروسين المستقبليين صدفة.

لم تجد خديجة أي كلام ترد به عليها، وقد شعرت بالإحراج والضيق الشديد، وشعورها هذا انتقل إلى ميرنا التي استدركت خطأها سريعًا:

- آسفة لم أقصد مضايقتك، كل ما هنالك أنني أعشق الصراحة؛ سيأتي أخي بعد قليل ومعه تذكرة ليفوجئ بنا داخل السيرك ويجلس بجانبنا.

حاولت خديجة اصطناع ابتسامة وهي تسمع ميرنا التي لم تكف عن الكلام:

- إن أخي يحاول أن يبحث عن عروس له منذ فترة، وقد رشحك والدي له. اعتبريني صديقتك منذ تلك اللحظة.

كان الموكب الصغير قد وصل لبوابة السيرك، وتلمّس طريقه بين الصفوف، ليجلس الجميع منتظرين بداية فقرات السيرك، في حين ظلت خديجة تراقب الوافدين منتظرة العريس المرتقب، وهي تتمنى أن تنتهي تلك الليلة سريعًا، فقد شعرت بما يكفي من الإحراج حتى هذه اللحظة، بينما ظلت ميرنا تتحدث طول الوقت، تتحدث عن كل شيء وأي شيء؛ عن السيرك وتاريخ تأسيسه وعن الطقس وعن المقطم، وعن أي شيء. بينما ظلت خديجة تتابع حديثها بابتسامتها الخفيفة وأذن مغلقة لا يتجاوز كلام ميرنا صوانها. حتى أشارت ميرنا نحو مدخل السيرك:

- ها هو ذا أخي باسم.

ألقت خديجة نظرة نحو هدف إشارة ميرنا. كان باسم شاب مهندم الثياب متوسط القامة، جسمه ممتلئ قليلًا، أسود، ناعم الشعر تغطيه بضعة خصلات بيضاء.

- كم يبلغ عمر أخيكِ؟

سألت خديجة وهي تميل نحو ميرنا:

- تعدى الأربعين بقليل، وهذه هي المشكلة التي جعلت مهمة إيجاد عروس مناسبة له صعبة بالنسبة لنا.

في الواقع لم تكن تلك مشكلة بالنسبة لخديجة بل بالعكس كانت تلك نقطة في صالحه وهي تتابعه يتقدم نحوهم وميرنا تهمس في أذنها:

- لا تنسي أنني أدعمك في هذا، إذا أردتِ أن تنهي اللقاء في أي وقت فقط اهمسي في أذني، وإذا أردتِ لقاءً ثانيًا فيمكنني أن أرتب لكما لقاءً آخر صدفةً.

لم يكن باسم كثير الكلام كأخته، وإن كانت طلت من وجهه -منذ اللحظة الأولى- نظرة إعجاب ورضى نحو خديجة التي ظلت تتفحصه في صمت، ولكن لسبب ما

رغم انجذابها لخصلات شعره البيضاء، إلا أنها لم تجد فيه غايتها في نوع الحب الذي تبتغيه. هذا النوع الذي يؤدي إلى فيض من المشاعر فور وقوع نظرها عليه، ولكنها قررت إعطاءه كل الفرص المتاحة دون إبداء أسباب، حتى لشخصها.

لم يمض الكثير حتى بدأت فقرات السيرك، وفي تلك الفترة القصيرة عرفت خديجة أن باسم صيدلي مجتهد، اجتهد في عمله داخل صيدلية صغيرة بالقرب من مسكن والده حتى نجح في امتلاكها، ثم استطاع أن يدخر مبلغًا وضعه كله في شقةٍ صغيرةٍ بأحد الأحياء الشعبية، وهذا بالطبع استغرق منه عقدين من الزمان وهو يبحث عن عروس ترضى بعمره أولًا، وشقته الصغيرة ثانيًا. وفي الحقيقة أن تلك المعطيات لم تسبب لها أي ضيق، بل إنها لم تلقِ لها بالًا، كل ما كانت تحاول خديجة تبيانه في تلك المرحلة هو حقيقة مشاعرها، وهي تجلس بجانب باسم متابعة لفقرات السيرك، بينما ظلت ميرنا تتحدث طوال تلك الفترة. وأخذت تستعرض فقرات السيرك فقرة فقرة، كأنما تربت به وهي تروي عن المهرجين والساحر وفقرة

الأكروبات، حتى أظلمت القاعة إلا من ضوء ساطع تم تسليطه على منتصف القاعة، ونزل قفص حديدي ضخم ليحيط بالقاعة الدائرية للسيرك، ودخلت الأسود والنمور تباعًا ومعهم مدربيهم، بينما وقفت في منتصف القاعة مدربة شابة لتسطع الأضواء من جديد، ويدوي معها تصفيق المشاهدين محيين إياهم.

كان العرض رائعًا بحق، وكانت جرأة المدربة الشابة ومساعديها واضحة في كل خطوة والأسود والنمور تتقافز حولهم، والتصفيق الشديد يدوي بين حينٍ وآخر. حتى أن خديجة نفسها انتُشِلَت من منطقة الإحراج التي تشعر بها وهي تتابع الفقرة، حتى مالت ميرنا على أُذنها وهي تصيح وسط الحشد:

- ما رأيك بالعرض.

مالت خديجة برأسها هي الأخرى نحو أذن ميرنا لتهتف:

- عرض جريء جدًا ورائع، ومدربة فوق الممتازة.

- في الحقيقة هي ليست المدربة، تابعي الأسود وانظري هناك.

أشـارت ميرنـا بإصبعهـا نحـو بقعـة خلـف المدربـة غلفهـا الظـلام، وإن كان ظهـر بهـا ظـل ذكـوري لشـخص لا تتضـح ملامـح جسـده ولا وجهـه.

تابعـت بالفعـل خديجـة الحيوانـات وهـي تزمجـر وتتقافـز حـول مدربيهـا، ولكنهـا شـعرت أن الحيوانـات لا تتحـرك ولا تتراجـع إلا مـن بعـد أن تنظـر نحـو تلـك البقعـة.

- لا أفهم!

- إنـه المـدرب الحقيقـي. موكلـي العـرب أو طـرزان مصر. ألـم تسـمعي عنه؟

هزت خديجة رأسها نفيًا:

- لا، هل هو شهير لهذه الدرجة؟

- كل هـذا الحشـد يـأتي إلـى هـذا السيرك لرؤيتـه، ولكنـه لا يظهـر أبـدًا ولـم تنشـر لـه أي صـورة.

- من هو؟

- مـراد، اسـمه. كان عمـره سـت سـنوات عندمـا سـقطت الطائـرة التـي كان يركبهـا مـع والـده مـدرب الأسـود فـوق تنزانيـا، وعُثِـرَ عليـه بعدهـا بخمسـة عشـر عامًـا. يقولـون إنـه

قضاهـا مـع الحيوانـات في الغابـة.

ظلـت خديجـة تحـاول بإصـرار أن تمـد عينيهـا لـترى بهمـا مـا خلـف سـتارة الظـلام التـي يسـتتر بهـا الظـل، ولكـن محاولاتهـا بـاءت بالفشـل، فمالـت مـرة أخـرى على أذن ميرنـا وهـي تصيـح لتتخطـى أصـوات الضجيـج للحشـد:

- إن مـا تقولينـه مسـتحيل، لا يمكـن أن يعيـش إنسـان كل تلـك الفـترة مـع الحيوانـات، ربمـا لـم يكـن هـو الشـخص الـذي فُقـد.

- أتظنيـن أن أحـدًا لـم يشـك بذلـك! لقـد تأكـدوا مـن شـخصيته أكثـر مـن مـرة، لدرجـة أنهـم حللـوا لـه الحمـض النـووي ليتأكـدوا مـن شـخصيته، ولكنـه لـم يكلـم أحـدًا عمـا حـدث لـه في الغابـة. اسـتجوبوه لمـدة عـام كامـل، لـم يقـل خلالـه جملـة واحـدة مفيـدة، وفي النهايـة يئـس العلمـاء في استخلاص أي معلومـة منـه، وقالـوا أنـه نسيَ كيـف يتكلـم أو يتواصـل مـع البشـر، وأعـادوه لأسـرته بالسـيرك.

هنـا، جـذب الطفـل الكبيـر أطـراف ثيـاب ميرنـا لتنحنـي لتسـمعه، وهـو يصيـح بأذنهـا ثـم تعتـدل وهـي تقـول:

- ليس هذا وقته.

سألتها خديجة:

- وقت ماذا؟

- لا شيء، فقط يريد الذهاب إلى الحمام.

- لا بأس، سأذهب أنا به.

- متأكدة؟

- بالطبع، لا مشكلة.

سحبت خديجة الطفل الصغير من يده متسللة به بين الصفوف، وقد وجدت به ملاذها لأخذ فترة استراحة، ولترتيب أفكارها نحو ذلك العريس الجديد.

كانت شخصية خديجة تميل لرفض باسم، ليس بسبب شخصيته أو شيء فعله، بل بالعكس، لقد أعجبت به وبكفاحه وتصرفاته، ولكنها الطريقة هي التي كانت تقاومها بكل أحاسيسها. ولكن هذه المرة مختلفة، فهي بالفعل تريد إرضاء والدها كما أنها تدرك أن بالفعل عمرها يمر، وصوت المنطق والعقل يخبرانها ألا تظل تنتظر حبًّا أسطوريًّا في دنيا واقعية نمطية.

وصلـت خديجـة إلـى منطقـة دورات الميـاه، فأدخلـت الطفـل الصغيـر ثـم وقفـت منتظـرة إيـاه بالخـارج، إلا أن صـوت التصفيـق الحـاد جـذب انتباههـا ممـا جعلهـا تسـتدير محاولـة أن تـرى أي شـيء ولكـن المسـافة كانـت بعيـدة بالفعـل، فاسـتدارت مـرة أخـرى ولكنهـا فوجئـت ببـاب دورة الميـاه مفتوحًـا، ولا يوجـد أحـد بالداخـل، فتلفتـت سـريعًا حولهـا ولكنهـا لمحـت غرفـة ملحقـة بالسـيرك مـن الخلـف يغلَـق بابهـا، فأسـرعت نحـو البـاب وفتحتـه لتجـد نفسـها وسـط أقفـاص مـن الحيوانـات، بعضهـا فـارغ وبعضهـا يمتلـئ بشـتى أنـواع حيوانـات السـيرك التـي أخـذت تزمجـر وتتصايـح وتتقافـز، وضـوء خفيـف يضـيء الغرفـة، ولمحـت مـن بيـن ذلـك أرجـل الصغيـر تجـري بيـن الأقفـاص، فسـمحت ليدهـا أن تـترك بـاب الغرفـة لتهـرع إلـى الداخـل وزئيـر الأسُـود يـكاد يصـم أذنيهـا، ولكنهـا اسـتطاعت أن تسـمع صوتًـا يحذرهـا مـن التقـدم مـن بعيـد، ولكنهـا لـم تحـاول حتـى تبيـان مصـدره أو أن تلـقِ لـه بـالًا، لقـد كان كل همهـا الصغيـر. إنهـا تعلـم أن الحيوانـات داخـل أقفاصهـا، ولكنهـا خشـيت أن يمـد يـده داخـل أحدهـم فيصيبـه مكـروه أو سـوء مـن هـذا.

استطاعت خديجة بقدمين مرتعشتين وأنفاس متلاحقة أن تدرك الصغير، الذي كان قد اقترب بدوره من قفص ضخم بداخله فيل قد أصابته حالة من الهياج -عندما ثارت الحيوانات لركض خديجة والطفل بين الأقفاص- فأخذ يصدم القفص الضخم بجمجمته الصلبة مطلِقًا نئيمًا عاليًا، بينما انتقلت حمى الهياج إلى باقي الأقفاص في الوقت الذي سارع فيه أكثر من حارس للدخول للغرفة الضيقة، يحملون بأيديهم أسياخ حديدية مدببة، وهم يحاولون السيطرة على الحيوانات، في حين أحاط اثنان منهم بخديجة والطفل وهم ينكزون الفيل ليبتعد عن جدران القف الذي بدأت قضبانه في الاعوجاج، وبدأت بوادر الانهيار تبدو على جدرانه فصاح أكبر الحرس سنًا وهو يضع خديجة والطفل خلفه متراجعًا:

- فليتراجع الجميع.

وفجأة، ودون أي مقدمات، هبط جسد ضخم لشاب عاري الصدر مفتول العضلات بين الحارس وقفص الفيل، وهتف بكلمةٍ واحدة:

- كفى.

وفي لحظة واحدة ساد الصمت أرجاء المكان، كأنما استجاب الجميع لكلمته، حتى الحيوانات المفترسة نفسها كفّت عن الزئير وهي تحوم داخل أقفاصها، ولكن لم يجرؤ أحدهم على أن يخرج من حنجرته صوتًا واحدًا.

ثم التفت الشاب نحو الحارس وفي عينه نظرة نارية فهمها على الفور، فالتفت بدوره نحو خديجة معنفًا إياها:

- ما الذي جاء بكما إلى هنا؟

ولكن خديجة نفسها لم ترد، بل لم تسمع سؤاله حتى،

لقد نسيت من هول ما يحدث، وطار عقلها يستكشف جسد الشاب المفتول وهي تتأمل شعره المجعد الطويل، ووجهه الذي ظهر على نصفه علامات وسامة، بينما غطت آثار الجروح نصف وجهه الآخر الذي تشوه تمامًا، وامتلأ جسده بعلامات جروح أخرى لم يكن عددها بالقليل.

- قلت لكِ، ما الذي جاء بكما إلى هنا؟

انتزعتها جملة الحارس الأخيرة، فارتبكت وقالت بصوت مرتعش:

- لقد هرب مني الطفل، ولم ألحظ هذا إلا وهو يدخل

من باب الغرفة المفتوح.

تطاير الغضب من عيني الحارس وهو يلتفت إلى أحد مساعديه:

- أين كنت يا عبد الله؟

ارتبك المساعد بدوره:

- لقد كنت في دورة المياه. ولم أغب سوى دقيقة.

- ولا ثانية واحدة، وأين كان جمال؟

- كان داخل الخيمة يدخل النمر للعرض.

- غير مسموح تمامًا ترك تلك الغرفة ولا لثانية واحدة. كنت أعتقد أن هذا مفهوم للجميع؛ إنه أحد بديهيات الاعتناء بحيوانات السيرك، من المفترض أننا محترفون، أليس كذلك؟

خيم الصمت على رؤوس الجميع، فاستدار كبيرهم نحو الشاب:

- لم يحدث شيء يا مراد، اذهب أنت واستكمل عرضك.

فاستدار مراد بالفعل نحو باب آخر في آخر الغرفة يصلها بخيمة العرض، بينما ظلت خديجة تراقبه حتى قال لها الحارس:

- آسفون لما حدث لكِ أنتِ وطفلك، ويسعدنا أن نستقبلك في أي وقت كتعويض عما حدث الليلة، حتى إن وددتِ أن تحضري التمرين، فقط اسألي عن بَكر حارس الأسود.

هزت خديجة رأسها متفهمة:

- لا بأس يا عم بكر، لم يصَب أحد بمكروه.

- سأنتظر زيارتك لنا يا بُنيّتي.

- بإذن الله يا عم بكر، بإذن الله.

واستدارت مغادرة وإعصار يعصف بعقلها وقلبها؛ إعصار يدعى مراد.

تلبية الدعوة

- لم أتصور أنكِ ستوافقين على لقائي مرة ثانية.

- كان باسم شديد الحرج وهو يسير بجانب خديجة -التي لم تكن بأقل منه حرجًا- وهما يتجولان عند ميدان النافورة بالمقطم، بعد مرور أسبوع من لقائهما الأول.

- في الحقيقة لقد فضلت أن تكون الأمور واضحة من البداية يا باسم، فأنا لم أود أن يكون لقاؤنا الثاني كالأول؛ مرتب كي يبدو صدفة! لقد نضجنا على هذه الأكاذيب.

- صدقيني لم أكن أريد هذا أكثر منك، ولكنها ظروفي التي فرضت عليَّ هذه الألاعيب، فأنا لا أجد ترحابًا أبدًا عندما أتقدم لأي فتاة.

- ربما لو كنت صريحًا من البداية...

- صدقيني حاولت، وفاتحت أكثر من فتاة لرغبتي للارتباط بها، ولكنهن جميعًا لا يقبلن بسنِّي، كأن من تعدى حاجز الأربعين فقد الحق في أن يعف نفسه، ويجد شريكة حياته التي يأمل أن يوفقه الله معها!

ساد الصمت بينهما وهما يسيران جنبًا إلى جنب، وكل منهما يجوب دهاليز عقله لعله يجد موضوعًا يتحدث به، حتى قال باسم:

- صحيح، إنني أعتذر لك عما سببه لكِ ابن أختي من متاعب في لقائنا الأول في السيرك.

- لقد كانت ليلة حافلة.

- قالتها خديجة وهي تعنيها حقًا،

- لقد كانت ليلة حافلة.

- لم يغمض لخديجة جفن تلك الليلة،

- ولكنها لم تكن تفكر في الواقعة،

- لقد كانت تفكر به هو؛

مراد.

- كيف يمكن لشخص أن يحيا وسط الحيوانات خمسة عشر عامًا؟

- وما تلك الجروح التي تغطي جسده وتشوه وجهه؟

- وكيف يستطيع التحكم في تلك الحيوانات؟

- وفي الحقيقة أن تلك الأسئلة لم تشغل عقلها تلك الليلة فقط، بل طوال الأسبوع الماضي، وهي في المدرسة تصحح الامتحانات، وهي في المنزل، وهي مع صديقاتها،

حتى عندما فاتحها والدها برغبة باسم في لقائها كل ما تذكرته أنه اصطحبها عند مراد!

- أين ذهبتِ؟

- انتزع السؤال خديجة من عالمها الخيالي فأجابت:

- أفكر بما حدث تلك الليلة.

- وقف باسم:

- لقد أنهكني السير، هل تودين الذهاب إلى مكان ما؟

- أجابت خديجة على الفور:

- السيرك.

- السيرك؟

ولكنه مغلق الآن، إنهم يفتحون أبوابه بالمساء!

- ابتسمت خديجة:

- لا بأس بهذا، لقد أكسبني ابن أختك بعض الصداقات الجديدة.

- وبالفعل، لم يمضِ الكثير من الوقت حتى كانت خديجة وباسم يقفان مع الحارس بكر في الساحة الخلفية للسيرك، والذي بدا مُرَحِّبًا جدًا بخديجة التي ظلت تجوب أركان المكان بنظرها، علّ عينيها تقع عليه، ولكن لفت انتباهها وجود مدربة العرض بالساحة يحيط بها بعض المساعدين.

- في الحقيقة -أستاذة خديجة- لقد شرفنا اليوم بزيارتك.

- ثم نظر نحو باسم مرحِّبًا:

- أنت والد الطفل، أليس كذلك؟

- ردت خديجة على الفور:

- بل هو خاله، الدكتور باسم.

- بدأت أصوات المدربة والمساعدين في الارتفاع والنقاش بينهم يحتد، ولكن خديجة حاولت ألا تلقي بالًا لما يحدث وهي تقول لبكر:

- في الحقيقة كنا نود أن نرى التمرين كما وعدتني.

- كست ملامح الأسى وجه بكر:

- في الحقيقة إن حظك عاثر اليوم أيضًا يا أستاذة، لقد تم إلغاء تمرين اليوم وسيكتفى بالعرض المسائي.

- كان صوت المدربة قد بدأ يتحول إلى الصياح، ليخترق أذنا كلًا من خديجة وباسم وهي تصيح:

- إنه هو بالتأكيد، لا يوجد أحد آخر. هذه الجروح التي بالحارس، مَن آخَر يمكن أن يحدثها! إنه يأكلهم، يفترسهم. سيبدأ بالحيوانات ثم ينهشنا واحدًا تلو الآخر.

- أشار لهم بكر نحو غرفة صغيرة:

- تعالي معي يا أستاذة لنحتسي أكواب الشاي في غرفتي المتواضعة.

- فهم باسم وخديجة أن بكر يحاول إبعادهم عما يحدث، فسارا معه ببطء حتى اقتربا من غرفته الصغيرة، فسمعا صوت زمجرة يأتي من إحدى الغرف القريبة، فالتفت باسم منزعجًا:

- هل تتركون الأسود حرة في غرفكم؟

- كان بكر قد وصل إلى غرفته ففتح بابها بهدوء، ويدخل أمام باسم وخديجة وهو يجيب:

- إنه ليس أسدًا يا دكتور، يبدو أن مراد سمع ما يدور في الخارج وهو غاضب قليلًا.

- قالت خديجة:

- ألن تحاول تهدئته! لقد لاحظت أن بينكما علاقة خاصة.

- إنني أعرف مراد من قبل أن يختفي، وتعرفت إليه عندما عاد. مهما كان ما يقولونه عنه فإن مراد لم ولن يؤذي أحدًا، ولكنه تعود أن يعبر عن غضبه بشكلٍ ما، سأتركه لما تعوّد عليه.

- قالها بكر ثم انهمك في تحضير ثلاثة أكواب من الشاي في حجرته البسيطة، التي تكونت من سرير بسيط مهترئ متهالك، ضمد بكر معظم أركانه ووقفت منضدة صدئة وحيدة في منتصف الغرفة الصغيرة، جلس بجانبها كرسي صغير احتمت به خديجة فور دخولها، بينما جلس باسم بجانب بكر على طرف الفراش، وكان هناك خِزانةً حديديَّة مغلقةً بجانب الفراش.

- ولمدة دقائق ظل فيها الصمت هو لغة الحوار داخل الغرفة، وباسم وخديجة يتبادلان النظرات عن حيرتهما مما يحدث، وإن كانت بدت على ملامح الأول أنه يتوق إلى اللحظة التي ينطلقان فيها بعيدًا عن كل ذلك الرعب، بينما بدا الفضول على ملامح خديجة التي انتظرت أن يفرغ بكر من تحضير أكواب الشاي حتى تسأل:

- ما الذي يحدث بالسيرك يا عم بكر؟ أشعر بشحنة توتر تسري بين الجميع هنا.

- ظهرت معالم الأسى على معالم بكر:

- الكل يتبادل الاتهامات يا بنيَّتي.

- لماذا؟

- هناك شبل تم سرقته بالأمس، بعد أن قام شخص ما بالهجوم على الحارس الليلي.

- ازداد توتر باسم وهو يقول:

- أتعني أن هناك أسدٌ مفقود؟

- للأسف نعم.

- هل أبلغتم الشرطة؟

- احتسى بكر رشفةً من كوبه قبل أن يرد:

- الموضوع ليس بهذه البساطة، سيكون هناك تحقيق وطلب لرخَص السيرك وأوراقه، وربما يكون هناك غلق مؤقت للمكان، غير سمعته التي ستسوء، وهناك أسَر كاملة يا دكتور تعتمد على دخلها من السيرك.

قالت خديجة:

- ولكن الموضوع خطير يا عم بكر.

- نعم، إنه كذلك يا أستاذة، ولكن الأخطر أنهم يلقون اللوم على مراد.

- اتسعت عينا خديجة:

- مراد؟

- نعم، مراد شخص هادئ إلى أقصى حد، ولا يميل للكلام، وربما يمكث بالأسابيع لا نسمع له صوتًا، ولا يحب أن يدافع عن نفسه، ولكن المدربين هنا يقسون عليه، فمنذ أن عاد من غيابه وهم يعلمون أن سلطتهم على الحيوانات ولَّت. وأن هناك زعيمًا جديدًا للقطيع

وصـل، وهـم يـرون مـدى تحكمـه في الحيوانـات، غيـر أنـه يرفـض التداخـل أو صنـع صداقـات، أو حتـى الـكلام أو الـرد علـى أي مـدرب، أو حتـى أي شـخص بشـري. مـراد يمكنـه الجلـوس طـوال اليـوم بغرفـة الحيوانـات، ولكنـه لا يـرد علـى كلام لبَشـري.

- ولماذا يتهمونه؟

- هـذا طبـع الإنسـان يـا أسـتاذة؛ يخـاف ممـا لا يفهمـه، وهـم لا يفهمـون مـراد.

- ثم احتسى رشفة أخرى، واستطرد:

- كمـا أن الآثـار علـى جسـد الحـارس كانـت تشـبه المخالـب.

- مخالب؟

- لقـد تأقلـم مـراد علـى الحيـاة بالغابـة بشـكل مـا، حتـى إن أظفـاره أصبحـت غليظـة لتشـبه المخالـب، وهـو يرفـض تقليمهـا أو تغييـر شـيء مـن مظهـره منـذ عودتـه.

ثم احتسى رشفة أخيرة:

- وفي الحقيقة هذا ليس أول حيوان يُفقد.

هنا قفز باسم من مكانه فزعًا:

- ماذا؟

- لقد اختفى طفل الغوريلا الأسبوع الماضي، ولكن لم يتأذَّ أحد، ولا نعلم مَن سرقه.

- نظر باسم نحو خديجة:

- أعتقد أنه علينا الذهاب.

- نهض بكر وابتسامة تفاهم ترتسم على شفتيه:

- ربما لديك حقٌّ، عليكما الذهاب، ولكن هل لي بطلب؟ ما تحدثت إليكما إلا لأنني أفتقد الصديق هنا، فهلا كتمتما ما قلته لكما من أسرار؟

- وقفت خديجة بدورها وهي تضع كوب الشاي من يدها:

- لا تقلق يا عم بكر، أسراركم في بئر ليس له قرار.

- واستدارت خديجة لتفتح الباب، ولكنها فوجئت به أمامها؛

مـراد بجسـده المفتـول وشـعره غيـر المهـذب وقدميـه العاريتيـن،

- جسـدًا قويًـا تغطـي النـدوب نصفـه العلـوي، وسـروال قصيـر يغطـي النصـف السـفلي،

- يقـف أمـام بـاب غرفتـه وهـو ينظـر نحـو المدربيـن والحـراس الذيـن يحاولـون تهدئـة المدربـة الشـابة، والحـول بينهـا وبيـن مـراد، وهـي تصيـح:

- أعلـم أنـك مـن فعـل هـذا، أنـت نذيـر الشـؤم في هـذا المـكان، هـل تظـن أننـي سـأخاف منـك كبقيتهـم! أنـا لا أخشـاك. هـل تسـمعني يا مـراد؟ لـن يهدأ لـي بـال حتى تُطـرد خـارج السـيرك، هـل تسـمعني يـا مـراد!

ولكن مراد لم يرد، ظل يحدق بها

- ثم أشاح بوجهه ليقع نظره على خديجة وباسم،

وينظر نحوها للحظات

ثم يستدير ليغلق باب غرفته عليه

- ويختفـي داخلهـا، ويخفـق معهـا قلـب خديجـة. لقـد تلاقـت عيناهمـا، لقـد رآهـا، إنهـا متأكـدة.

- لـم تسـتطع خديجـة منـع نفسـها مـن التفكيـر في هـذا الشـاب المشـوه الوجـه،

- حتـى وهـي عائـدة للمنـزل بصحبـة باسـم، لـم تسـتطع إبعـاد مـراد عـن عقلهـا

- رغـم أن عقلهـا كان يحدثهـا: كيـف لهـا تخـرج مـع رجـل وتفكـر بآخر!

- أجننتِ يا خديجة؟

ظللـتِ ترفضيـن الارتبـاط طـوال حياتـك، وعندمـا قـررتِ أن تعطـي رجـلًا فرصـة تفكريـن بآخـر!

- مشـوَّهٌ بربـريٌّ تربَّـى مـع الحيوانـات، أبكـم لا يخالـط بشـرًا،

أهـو مـا تريدينـه أيتهـا الأسـتاذة التربويـة، أم إنهـا مشـاعر مراهقـة متأخـرة؟

- أفيقي يا أستاذة.

- ظلـت الهواجـس تداهـم عقـل خديجـة حتـى وصلـت إلـى بيتهـا، وظلـت صامتـة طـوال ذلـك اليـوم، حتـى وهـي تتنـاول الطعـام مـع أخيهـا ووالدهـا، وحتـى عندمـا أوَت إلـى

فراشـها جفـا النـوم عينيهـا، وحتـى سـاعات الصبـاح الأولـى والأفكار تتخبط برأسـها، وعندمـا استسـلمت لسـلطان النـوم إذا بجـرس هاتـف منزلهـم يجعلهـا تهـب مفزوعـة لتضـع سـماعة الهاتـف على أذنهـا، فإذا بصـوت باسـم يأتيهـا معتـذرًا لتأخـر الوقـت.

- باسم! لا يمكنك...

- أكـرر اعتـذاري مـرة أخـرى، ولكننـي لـم أسـتطع تمالـك نفسـي عندمـا سـمعت الخـبر بالتلفـاز؛ لقـد ماتـت المدربـة، ومـراد هـرب.

وشلَّت المفاجأة لسان خديجة ووجدانها.

السيرك

- ستخرجين الليلة أيضًا؟

- إنه الصيف يا والدي.

- أستذهبين إلى السيرك كالليالي السابقة؟

أجابت خديجة والدها وهي تضع اللمسات النهائية لملابسها:

- نعم يا والدي.

- إلى متى؟

استدارت خديجة نحو العجوز الجالس خلفها على أحد الكراسي المريحة في الردهة الواسعة لبيتهم العتيق، وابتسامة مطمئنة تحنو على والدها:

- أنت تعلم أنني لا أرتكب خطئًا، وأنه كان يمكنني أن أكذب عليك عن أماكن خروجي منذ البداية، ولكننا لم نعتد على ذلك معًا.

ثم استدارت لتكمل لمساتها أمام المرآة وهي تقول:

- إن حال أفراد السيرك منذ تلك الحادثة يدعو للحزن.

- أكاد أتخيل هذا، لقد رأيت تفاصيل الحادث في التلفاز، تلك المسكينة تشوه جسدها تمامًا، لا أعلم كيف تركوا هذا الشخص طليقًا من البداية.

شعرت خديجة بالضيق يعتصرها من الداخل، وانتقل إلى ملامحها وهي ترد:

- وهل أنت واثق أنه من قام بقتلها؟

- ارتفعا حاجبَي والدها دهشةً:

- ومن غيره يا خديجة؟ آثار المخالب والأنياب التي امتلأ جسدها به، وجدالهما قبل الحادث، وتهديدها إياه، بل وهروب مراد نفسه، كل هذا يدل عليه.

- ربما، ولكنني غير مصدقة لهذا.

- ثم ساد الصمت بضعة لحظات -وخديجة ترتدي حذاءها- قبل أن يسألها والدها:

- ماذا عن باسم؟

- ماذا عنه؟

- لم تعطيني ردًا على عرض الزواج الذي قدمه لكِ.

انتصبت خديجة:

- لم أحسم أمري بعد.

- لم تحسمي أمرك؟

- في الحقيقة ليس بعد.

ثم أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تردف:

- باسم نفسه ليس لدي أي اعتراض عليه، بالعكس تعجبني شخصيته وإصراره وكفاحه، ولكن هناك حائل يقف بيني وبينه.

ثم حملت حقيبتها الصغيرة وهي تستدير نحو الباب:

- لا أعلم بعد يا والدي.

ثم فتحت الباب ووالدها يصيح خلفها:

- ماذا أقول له؟

- قل له إنها ما زالت تفكر.

ثم أغلقت الباب خلفها، ووالدها يحدق في الباب المغلق للحظات قبل أن يقوم متثاقلًا نحو الهاتف، ليطلب

رقم باسم بالصيدلية ويسلم عليه قبل أن يسأله الأخير:

- هل ذهبت إلى السيرك اليوم أيضًا؟

- نعم يا باسم، أمهلها بعض الوقت.

- إنني أخشى عليها من هذا المجتمع يا عم حمدي.

- إنها مفتونة بهم.

- إنهم همجيون عشوائيون يعيشون وسط الحيوانات ونحن ببداية القرن الواحد والعشرين!

- لن تظل كذلك كثيرًا، أَعِدُكَ.

- صمت باسم لفترة وجيزة قبل أن يسأل مجددًا:

- هل فاتحتها بموضوعي؟

- إنها تطلب مهلة لتفكر.

- لقد مر أكثر من عشرة أيام يا عم حمدي.

- إنها أول مرة لا تعترض على شخص منذ البداية، وفي الحقيقة لقد قالت إنها معجبةٌ بك وبشخصيتك، ولكنها تطلب الوقت لتبيان مشاعرها.

- لا بأس يا عم حمدي، اعتني بها من أجلي.

- سأفعل يا بني.

- ثم أغلق سماعة الهاتف وهو يتمتم:

- سأعتني بها، ولكن ليس من أجلك، بل من أجلي أنا، ومن أجل والدتها رحمها الله.

- وفي نفس الوقت كان العقيد رفقي يغادر مديرية أمن القاهرة، يتبعه -بخطى واسعة- مساعده الرائد نبيل.

- هل هناك جديد في قضية السيرك؟

- في الحقيقة لا، سيادة العقيد.

- هناك اهتمام إعلامي وسياسي واسع بتلك القضية، والصحفيون لا يكفون عن السؤال عن تلك القضية.

- تقرير الطب الشرعي -كما تعلم سيادة العقيد- لم يذكر سوى آثار الجروح الغائرة بالقتيلة، والتي ترجح أن تكون لحيوانٍ ما، ولكن الإعلام وهروب هذا المدعو مراد جعلا قصصًا وخرافات تحاك حوله، كأنما نتحدث عن وحش وليس عن إنسان.

قال العقيد رفقي وهو يلقي التحية العسكرية على آخر عسكري يقف أمام بوابة مديرية الأمن:

- لا تنسَ أن هذا البشري يا نبيل عاش خمسة عشر عامًا بين الوحوش الضارية، ولم ينل منه أحدهم سوى بتلك الندوب التي بجسده.

- لقد قرأت ملفه سيادة العقيد، ولكني أعتقد أننا نعطي الأمر أكبر من حجمه.

في تلك اللحظة وصل الشرطيان إلى سيارة العقيد التي فتح بابها ليجلس خلف عجلة القيادة.

- لا يهمني مَن فعلها سواء كان هذا المدعو مراد أم لا، أريد نتائج، أريد أن نلقي القبض على أحدهم.

- لا تقلق سيادة العقيد، لقد استجوبنا فريق السيرك بكامله وعلمنا أن هذا ليس أول هجوم، وهناك قوة كاملة تحيط بالسيرك طوال اليوم.

- أريدك أن تمر عليهم بنفسك ليلًا ونهارًا يا نبيل، الأخطاء غير مسموح بها.

أدى نبيل التحية العسكرية:

- تعليمات سيادتكم ستنفذ.

تحركت بعد ذلك السيارة مبتعدة وصحبها الرائد نبيل ببصره حتى توارت عن نظره، وتوجه هو نحو سيارته ليدير محركها وهو يتمتم:

- وماذا لديه ليخسره! مر صباحًا ومساءً، سأمر يا سيادة العقيد، ولتذهب راحتي وأهل بيتي للجحيم!

لينطلق بسيارته نحو القوة المرابطة حول السيرك؛ السيرك الذي خفتت أضواؤه وقبع وحيدًا وسط ساحته بالمقطم، من بعد أن كان يعج بالمشاهدين والمعجبين. السيرك الذي غلب فيه الحزن على قلوب الجميع من بعد أن ماتت نجمة العرض وهرب مدرب الحيوانات. من بعد أن كان الجميع يمنِّي نفسه بموسم حافل من بعد العام الدراسي، حيث تجمع جميع العاملين بالسيرك في خيمة العرض يملؤهم الإحباط والاكتئاب، بينما جلست خديجة مع بكر كعادتهما أمام غرفة الحيوانات، إلا أن خديجة على غير عادتها طوال العشرة أيام الماضية لم تجد ما تقوله، لم تجد ما تواسي به بكر -كعادتها- منذ أن عرّفها على قوة الحراسة الشرطية على أنها ابنة أخته

التـي تأتيـه للزيـارة يوميًّـا، حتـى أصبـح وجودهـا لأفـراد الأمـن والعامليـن بالسيرك أمـرًا مستسـاغًا. إلا أن تلـك الليلـة استسـلمت للغصـة التـي شـعرت بهـا في حلقهـا، وامتنعـت عـن الـكلام لمـدة سـاعة كاملـة، حتـى أوشـك الليـل علـى الانتصـاف، إلا أن سـؤالًا ارتقـى في رأسـها فجـأة جعلهـا تقطـع صمتهـا:

– هل مراد يتحدث معك يا عم بكر؟

– لا يا خديجة، لم أره منذ الحادثة.

– لا، أنـت لـم تفهـم قصـدي، أقصـد هـل كان يجلـس معـك ويتحـدث عـن أي شـيء؟ حياتـه في الغابـة مثـلا، مـا الـذي يفكـر بـه، هـل فهمـت قصـدي؟

– مـراد لـم يكـن بالشـخص الاجتماعـي إلا أننـي أكثـر شـخص يتحـدث معـه، ولكـن حديثنـا لا يرتقـي للمسـتوى الـذي تذكرينـه، إنـه فقـط يعطيـكِ فكـرة ويـتركك تنفذينهـا، مثـلًا يقـول «الحيوانـات مرهَقـة»، «الأسـود لا تـأكل جيـدًا»، «المدربـون يقسـون علـى الحيوانـات» ثـم يـترك لـك التفكير في المشـكلة وحلولهـا.

- عـاد الصمـت يطغـى علـى المـكان مـرة أخـرى حتـى عـادت خديجـة تسـأل:

- هل تصدق أنه قتلها؟

- هو لا يؤذي أحدًا.

- ولماذا هرب إذَن؟

هـمّ بكـر بالـرد إلا أن أصـوات الحيوانـات بـدأت في الارتفـاع فجـأة، ممـا دفـع بكـر إلـى النهـوض مـن أمـام بـاب الغرفـة والإسـراع إلـى الداخـل حيث ظلـت الحيوانـات تتقافز وتتصايـح داخـل أقفصتهـا، وبكـر يقـف في ذهـول عنـد بـاب الغرفـة وورائـه خديجـة، لا يدريـان مـاذا يفعـلان. وبينمـا همـا في حيرتهمـا لمـح بكـر ظـلًا يتحـرك عنـد أقفـاص الرضـع فصـاح:

- مَن هناك؟

- لـم يـرد أحـد، ولـم ينتظـر بكـر كثيـرًا؛ تحـرك بسـرعة خلـف الظـل ليقـع نظـره علـى شـخص لـم يـره في حياتـه مـن قبـل، وقـف أمـام قفـص النمـر متشـبثًا بـه حتـى كسـر قفلـه، ومـد يـده يأخـذ الرضيـع.

- كان الشخص كثيف الشعر غير مهندم الثياب، بل إن أجزاء من ثيابه ممزقة وبرزت أظافره وأنيابه ليشبه الشكل السينمائي للمذئوبين.

- تسمر بكر أمام الغريب وهو يصيح:

- من أنت يا هذا؟ وكيف دخلت إلى هنا؟

- إلا أن الغريب قفز عاليًا ليتشبث بقضبان قفص الفيل، مطلقًا زمجرة مخيفة خرجت من حنجرته تراجع معها الفيل إلى الخلف، بينما اتسعت عينا بكر وخديجة عن آخرهما وهما يحدقان بالوافد الغريب، إلا أن دهشتهما امتد مفعولها عندما فوجئا بجسد آخر مفتول العضلات يقفز خلف الغريب ليتعلق به ويجبره على السقوط على الأرض، ولم يكن هذا الجسد إلا جسد مراد نفسه.

ومن مكانه هتف بكر:

- مراد!

كان التحفز الشديد يظهر على كل عضلة من جسد مراد، وهو يحدق في الغريب الذي ترك النمر الصغير أرضًا وهو ينتصب ليرفع يده كعلامة استسلام وهو يقول:

- اهدأ يا هذا، لا أقصد بكم شرًا، كل ما أريده هذا الصغير.

ارتفع صوت بكر:

- من أنت، وماذا تفعل هنا؟

- أدعى د. محسن، عالم بالفيزياء الحيوية، وجئت من الإسكندرية إلى هنا لأجري بعض الأبحاث، وحيواناتكم هذه تساعدني بأبحاثي.

ارتفع صوت مراد فجأة:

- أنت من قتل المدربة وجرح الحارس.

هنا أنزل محسن يديه:

- أنا مجرد باحث.

- بل أنت شيء آخر، شيء قبيح من الداخل، يمكنني الشعور بك.

ابتسم محسن ابتسامة ساخرة:

- لن تستطيع منعي، ابتعدوا من أمامي.

- وتراجع بكر وخديجة خطوتين إلى الخلف، ولكن

مـراد كشـر عـن أنيابـه، وقفـز محسـن عاليًـا ليهبـط بمخالبـه علـى وجـه مـراد، ولكـن يـد مـراد اسـتقبلت سـاعده وهـو يزمجـر، وفي الحقيقـة ظهـرت علامـات الدهشـة علـى وجـه كليهمـا، فمـن الواضـح أن كلاهمـا توقـع أن يكـون خصمـه أضعـف ممـا هـو عليـه، ولكـن دهشـتهما تلـك لـم تـدم سـوى ثانيـة واحـدة، بعدهـا قفـز محسـن نحـو الأقفـاص مـرة أخـرى ليتعلـق بهـا في لقطـة تشـبه حـركات الغوريـلا، ثـم يهبـط فـوق جسـد مـراد الـذي قفـز للخلـف متفاديًـا انقضاضتـه غيـر مصدق مـا يـري، ولكـن محسـن لـم يتـوانَ عـن متابعـة هجومـه وهـو يهـوي بمخالبـه علـى جسـد مـراد يمينًـا ويسـارًا، ومـراد نفسـه يتراجـع إلـى الخلـف، حتـى خرجـا مـن الغرفـة نحـو السـاحة الخلفيـة، حيـث تقـع غـرف فريـق السـيرك ومـن بينهـم غرفـة بكـر وغرفتـه ويحيـط بهـم السـور العالـي للسـيرك.

– وظـل الوضـع مـا بيـن هجـوم مـن محسـن وتراجـع مـن مـراد حتـى تحيّـن مـراد الفرصـة ليقفـز متعلقًـا برقبـة محسـن مـن الخلـف، وغـرز أظفـاره في صـدره ليطلـق محسـن زمجـرة مخيفـة وهـو يـدور بجسـده يمينًـا ويسـارًا، حتـى تمكـن مـن أن يلـف يـده خلـف رقبـة مـراد ليغـرز مخالبـه في جسـده، ثـم

يسحبه من فوق رأسه ويلقي بجسده أمامه ليصطدم بسور السيرك العالي بِدوِيٍّ مخيف، ويكسره ليسقط في الشارع وسط أنقاضه وهلع المارة.

– وشعر مراد بآلام مبرحة في كل جسده، وشعر بالدماء تنزف من رأسه وأماكن متفرقة من جسده، ولكنه لم يبالِ ونهض من وسط الحطام، ولكنه فوجئ بأصوات الشرطة من حوله ونفيرهم المميز، واللونين المميِّزَين -الأحمر والأزرق- لأضواء سياراتهم، والكشافات تسطع في ظهره، وصوت نبيل يعلو في ظهره:

– سلم نفسك يا مراد.

– أما مراد نفسه فقد أخذت عيناه تجوبان الساحة من خلال الجزء المتهدم من السور وهو يبحث عن أثر لمحسن، ولكنه لم يجد سوى بكر وخديجة يقفان أمام غرفة الحيوانات وعيناهما تطوفان بين مراد ورجال الشرطة المدججين بالأسلحة.

واستدار مراد ببطء وهو يتحفز للمواجهة، ولكنه فوجئ بخديجة تعدو نحوه وهي تصيح:

- لا تطلقوا الرصاص، أرجوكم، هو لم يقتل أحدًا.

وفي الواقع أن حركتها هذه أصابت الجميع بالدهشة؛ رجال الشرطة الذين تبادلوا النظرات فيما بينهم، وبكر الذي تسمّر في مكانه وهو يتابعها فاغرًا فاهُ، ومراد نفسه الذي ظل يتابعها وهي تعدو نحوه وتصيح برجال الشرطة، وشبح ابتسامة يظهر على فمه، وقد انتهت حالة التحفز التي كانت تبدو عليه، حتى وصلت له خديجة فوضعت يدها على كتفه وهي تعلم ما يجول برأسه، وقالت له:

- أرجوك، لا تهاجمهم.

نظر مراد في عينَي خديجة، وهو يدرك أنها تعلم تمامًا ما يجول بخاطره.

لقد علمت أن غريزته الحيوانية ستدفعه للدفاع عن نفسه؛ غريزة البقاء التي تعلمها في الغابة ستطغي عليه، إلا أن هذه المرة غريزة أخرى ظهرت؛ غريزة إنسانية.

هذه أول مرة تلمس جسده أنثى؛ أنثى تفهمه، أنثى تخشى عليه، أنثى تعدو أمام فوهات المسدسات كي تمنع إيذائه. وارتخى جسد مراد تمامًا، بل إنه لم يشعر بنبيل

وقواته وهم يقتربون منه ويكبّلونه بالأصفاد ويضعونه في إحدى سياراتهم، وهو يراقب بدوره خديجة التي اقترب منها رجال الشرطة ومن بكر أيضًا ليصطحبوهما معهم.

كان نبيل يمنّي نفسه باعتراف كامل من مراد -نظرًا لوسائله الغليظة في الاستجواب- إلا أنه فوجئ بجدار ضخم أمامه لا يلين، ولم تنفرج شفتي مراد بأي شيء، لم ينطق بكلمة ولم يتأوه حتى تحت وطأة الاستجواب، بينما جلس بكر وخديجة كلٌّ في غرفة مستقلة، وتطابقت أقوالهما حول المعتدي الغريب، إلا أن الشرطة لم تعطِ لأقوالهما اهتمامًا عندما شهد جميع العاملين بالسيرك أنهم لم يروا أو يسمعوا أي أحد، وأن قوة العلاقة بين بكر ومراد تجعله يدافع عن مراد، وأن خديجة نفسها لا تعمل بالسيرك.

إلا أن هذا لم يكن داعٍ لاحتجازهما، فأطلقت الشرطة سراحهما، وتحفظت على مراد ريثما تنتهي التحريات وينتهي تقرير الطبيب الشرعي.

إلا أن خديجة نفسها لم تكن سعيدة بالقرار، لم تكن سعيدة تمامًا وهي ترى والدها وباسم وأخاها إبراهيم في

انتظارها أمام قسم الشرطة وهم يصطحبونها معهم، بينما تعلقت عيناها ببكر الذي وقف وحيدًا أمام باب القسم ينتظر من يصحبه.

وبينما ذهبت خديجة إلى بيتها لتجد الماء الدافئ في انتظارها، والأكل الشهي، والعطف والحنان من المحيطين بها لقضائها ليلة بالحبس، ظل بكر ينتظر من يقلّه إلا أن أحدًا لم يأتِ فاضطر -آسفًا- أن يمشي من قسم شرطة المقطم حتى وصل إلى باب السيرك، متوقعًا ألا يكون أحدٌ قد أبلغهم بميعاد خروجه، إلا أنه فوجئ باستقبال فاتر لا يرقى حتى إلى حد القبول، ومدرب شاب يقف إلى جانب مساعده جمال، يخبرونه بأن وجوده معهم أصبح غير مرحب به بعد أن كان يأوي مراد قاتل مدربتهم، ورغم إنكاره هذا لهم إلا أن قرارهم كان نهائيًا، بعد أن سمحوا له بأن يدخل ليأخذ ملابسه في حقيبة صغيرة، ويأخذ مبلغًا صغيرًا من المال كان قد ادخره على مدار سنوات عمله في السيرك، وهو يخرج من بابه الخلفي والأسى والحزن يعتصران قلبه، وهو يبتعد عن أبنائه؛ الأسُود الذين رباهم منذ أن كانوا أشبالًا، وأشرف على تدريبهم والعناية بهم،

ويبتعد عن بيته الوحيد الذي يعرفه، وعن أسرته الوحيدة التى طالما احتمى بها، وللأسف هي نفس الأسرة التي ألقته اليوم وحيدًا في شوارع المقطم، يطوف أحياءها حتى وجد غرفة صغيرة أسفل أحد البيوت القديمة، تمكن من دفع إيجارًا لها لمدة شهر.

وظل الحزن هو ونيس بكر، والوحيد الذي يسكن معه جنبات غرفته الصغيرة الخاوية، وهو يتذكر في كل وقت حيوانات السيرك، ومراد.

وفي الحقيقة أن خديجة نفسها رغم وجودها بمنزلها وبين أحبائها لم تكن أقل منه بؤسًا وحزنًا، وخصوصًا عندما فرض عليها والدها -لأول مرة- حصارًا لم تعتد عليه قبل ذلك، وشعرت ببيتها كسجن مهندم حاولت الهروب منه مرةً لتزور بكر في السيرك، إلا أنها فوجئت بعدم وجود بكر. وطُرِدَت من السيرك شر طردة، ولم يهوّن عليها إلا أنها وجدت باسم ينتظرها خارج السيرك، بعد أن طلب منه والدها أن يبحث عنها، لتجد نفسها لا شعوريًا تنهار بين ذراعيه باكية، وهو يعود بها إلى منزلها؛ منزلها الذي طالما اعتبرته مملكتها وجنتها، صار سجنها



ووالدها سجّانه، وهي تصبو بقلبها لمجنون يقبع في ظلمات السجن، وتتلهف لوحش كاسر.

ويظل قلبها بين باسم ومراد مترنحًا؛ أيهما يكسب صراع القلب،

صراع قلبها الذي طالما صانته!

فؤاد

- ما هذا الحظ السيئ يا محسن؟

قالها محسن وهو يتحرك بطريقة جنونية بين معداته الكثيرة، في المخزن القديم الذي ابتاعه مؤخرًا في أحد المناطق المنعزلة في هضبة المقطم، وهو يحدث نفسه:

- أهرب بالكاد من مجنون يقتل الوحوش بالإسكندرية، لأواجه وحشًا هنا في القاهرة!

ثم جلس أمام جهاز الحاسب الآلي خاصته بحجمه الكبير نسبيًا في ذلك الوقت -عام 2010- وهو يتصفح معلومات عن مراد؛ أخبار نشرت في الصحف منذ سنوات.

- كيف يمكنك أن تحيا بين الوحوش في البرية يا هذا خمسة عشر عامًا؟

ثم أخذ يتصفح صفحات أخرى، وأساطير بنيت على شخصيته وعلى عودته للسيرك، وعن الإقبال التاريخي لأول عرض للسيرك بعد عودته، ونفاذ التذاكر قبل موعد العرض بأسبوع، وحجز الحفلات قبلها بأسابيع.

- يبدو أن عملك بدأ يزدهر هنا في المدينة يا مراد.

- وأخـذ يتصفـح مزيـدًا مـن الصفحـات والأخبـار وهـو يبحـث عـن صـورة شـخصية لـه، ولكنـه أخـذ يبحـث هبـاءً، حتـى وجـد صـورة وحيـدة لـه وهـو يتحـرك في المطـار مكبـلًا بأغـلالٍ مـن حديـد، عندمـا تسـلمته السـلطات المصريـة مـن التّنزانيـة، وكان يصحبـه عـددٌ لا بـأس بـه مـن رجـال الأمـن، إلا أن مـراد نفسـه كان يبـدو عليـه الاستسـلام، ولكنـه تـرك خصـلات شـعره تنسـدل أمـام وجهـه فلـم تتضـح ملامحـه.

- يبدو أنك لا تميل إلى الكاميرات يا هذا.

- ثـم قـام مـن كرسـيه واتجـه نحـو المخـزن حيـث وجـد قفصيـن صغيريـن يسـكن بهمـا طفلـي الأسـد والغوريـلا، وفي منتصـف المخـزن اسـتقرت مناضـد ضخمـة عليهـا أوراق كثيـرة تحتـوي علـى معـادلات فيزيائيـة، وبنـى حولهـا جهـاز يحتـوي علـى الكثيـر والكثيـر مـن التوصيـلات الكهربائيـة.

ووقـف محسـن أمـام القفصيـن ثـم اختلـس نظـرة نحـو قفـص فـارغ:

- يبـدو أن رفيقكمـا سـيتأخر قليـلًا، فالنمـر رفـض الانضمـام للحفلـة.

ثم عاد مرة أخرى نحو حاسبه الآلي وهو يتمتم:

- أخترع أنا أعظم اختراعات القرن؛ جهاز نسخ الخريطة الجينية بواسطة الليزر عالي القدرة، ولا أستطيع الحصول على حيوانات لإتمام الاختراع!

ثم أخذ يضرب أزرار الحاسب:

- طبَّقت على نفسي أول تجربتين وكان الأمر ممتعًا بحق، استطعت أخذ صفات من الأسد ومن الغوريلا، وكنت أظن أن هذا يكفي، ولكن بعدما واجهت مراد يجب أن أعترف؛ هناك أكثر من هذا بكثير، يجب أن أكون أقوى من مراد، بل أقوى إنسان في الكون. يجب أن أظهر باختراعي وأنا في قمة توهجي. هذا الاختراع سيحصد جميع الجوائز، ولكن قبل هذا يجب أن أسيطر على ما حولي، ويجب أن أجد قرية الفراعنة.

ثم وقف أمام صفحة لبيع الحيوانات على متصفح الشبكة الذكية وابتسم:

- ربما منعتني من السيرك يا مراد ولكنني سأتصرف حيال هذا.

ثـم أخـذ الهاتـف ليتصـل برقـم نقلـه مـن شاشـة الحاسـب الآلـي ليقـول:

- هـل أتحـدث إلـى فـؤاد؟ هـل يمكننـي التحـدث إليـه؟ سـمعت أن لديـه مجموعـة مميـزة مـن الحيوانـات، نعـم رأيتهـا علـى شبكة المعلومـات، بالطبـع أعجبتنـي، لا، لا أبحـث عـن شـيء معيـن.

ثـم اتسـع فمـه بابتسـامة كبيـرة أظهـرت أنيابـه المدببـة وهـو يقـول:

- أريدها كلها، وبالثمن الذي يريده.

وظلـت ابتسـامته تتسـع وتتسـع وهـو يـرى خطتـه تسـير في طريـقٍ جيـد.

- ما الجيد في كل هذا؟

- كانـت تلـك كلمـات خديجـة وهـي تنظـر نحـو عينَـي إبراهيـم في غرفتهـا، وهـي تجلـس علـى سـريرها الوثيـر، ثـم قالـت مسـتطردة:

- أصبحـت سـجينة منزلنـا ولا أدري مـا الـذي حـدث للحـارس المسـكين بكـر، ومـراد مـا زال حبيسًـا ظلمًـا.

ابتسم المراهق وهو يقول:

- انظري للوجه المشرق في القصة؛ هذه أول مرة نضطر للعناية بكِ وليس العكس، أول مرة يضطر والدنا أن يتعامل معكِ كابنته، ولست كمديرة المنزل.

- ولكن هذا الشعور لا يعجبني.

- ربما اعتدتِ على العطاء وإعطاء الأوامر، جاء الوقت أن تستمتعي بالراحة، ولا بأس من تنفيذ بعض الأوامر.

- شردت خديجة بنظرها لثوانٍ فسألها إبراهيم:

- ما الذي تخفينه عني أختاه؟

- لا شيء يا إبراهيم، مجرد تضارب مشاعر.

- باسم ومراد، أليس كذلك؟

أخذت خديجة شهيقًا طويلاً ثم أطلقت زفيرًا حارًا كمشاعر ملتهبة تحترق بداخلها:

- باسم هو رجلٌ جيد جدًا، ربما ليس فتى أحلام الكثير من الفتيات، ولكنه في الواقع يعجبني، تعجبني شخصيته وتصميمه وهدوؤه، ويعجبني ظهوره عندما أحتاج إليه

ثم سكتت، فقال إبراهيم:

- ولكن مراد...

كأنما يدفعها لاستكمال كلامها، وفهمت خديجة ما يرمي إليه، فابتسمت وهي تستأنف:

- مراد عجيب، فريد، ليس كبقية البشر. لم يتلوث بمشاعرهم ولم يختلط بألاعيبهم، عيناه تتحدثان بما لا تنطق به شفتيه. قلبه أبيض كالحليب، مراد...

ثم أخذت نفسًا وهي تردف:

- مختلف.

هنا تعالى صوت طرقات هادئة على باب الغرفة، ووالدها يفتح الباب بلطف:

- خديجة، هناك فرد أمن يطلبك في الخارج.

نهضت خديجة مسرعة لتخرج للزائر الذي ما إن رآها حتي سألها:

- أنتِ خديجة حمدي؟

هزت خديجة رأسها إيجابًا فقال فرد الأمن:

- يريدونك بالقسم.

- ظهرت مشاعر القلق على خديجة، وسارع والدها بالسؤال:

- لماذا؟ لقد قالت كل ما تعرف قبل ذلك.

نظر إليه فرد الأمن:

- لا أعلم، كل ما أعرفه أن المأمور كلفني بإحضارها معي.

قال إبراهيم:

- لا بأس، سآتي معك.

- أشار إليه فرد الأمن:

- لا داعٍ لذلك، هي ليست متهمة بشيء، وأعتقد أن المأمور فقط يريد إغلاق المحضر قبل تحويله لمديرية الأمن.

- شعرت خديجة بارتباك والدها وأخيها فابتسمت مهدئة:

- لا بأس، سأذهب معه ولن أتأخر، ثم أنكما تعلمان مكان قسم الشرطة إذا ما تأخرت عليكما.

صدَّق أمين الشرطة على كلامها:

– على الأغلب لن يأخذ الأمر الكثير من الوقت.

وبالفعل دخلت خديجة لتغير ملابسها، ولم يمض الكثير حتى كانت تركب سيارة أجرة بجانب أمين الشرطة، توجهت بهما نحو قسم شرطة المقطم.

وما إن دخلت خديجة حتى لمحت بكر يقف بجانب مكتب ضابط المباحث، ويقف على مقربة منه بعض أمناء الشرطة وأفراد من قوات مجهزة، يرتدون دروعًا واقية ويحملون أسلحة آلية.

وعلى الفور توجهت خديجة صوب بكر الذي وجدته مرتبكًا للغاية:

– ما الذي يحدث يا عم بكر؟

– سينقلون مراد إلى مديرية الأمن، ولقد طلب وكيل النيابة رؤيتنا.

– وما كل هذه التجهيزات.

– إنهم يخشون من مراد.

سكتت خديجة وهي تراقب التحركات النشطة للقوات، ثم خرج نبيل من إحدى الغرف وقد لبس هو الآخر سترة واقية، ثم نظر إلى قواته:

- هيا، أخرجوا هذا الوحش.

فتحرك ستة من رجال المهمات بدروعهم الواقية وأسلحتهم الآلية إلى آخر الردهة، حيث وقف فرد أمنٍ أمام بابٍ حديدي، وأخرج أحدهم مفتاحًا ليدسه في قفل الباب ويفتحه.

دخل فردان من الستة إلى داخل الغرفة ليخرجا بعد ثوانٍ وهما يصطحبان مراد، وقد كبلت يداه خلف ظهره، بينما وضع قيد آخر يربط كاحليه ببعض ويجعل حركتهما محدودة، في حين ظل الأربعة رجال يصوبون أسلحتهم صوب مراد الذي بدا مستسلمًا وهو ينظر إلى الأرض ليسمح لشعره أن ينسدل أمام وجهه فلا يُظهر ملامحه.

ظل الرجال يتحركون ببطء حتى وصل مراد نحو سيارة مصفحة، ساعده رجلا أمن أن يدخلها ويجلس بداخلها، فتوجه آخر ليقيده بمقعده، وجلس معه -على بُعد منه- داخل السيارة فردا مهمات يوجهان أسلحتهما نحوه، بينما

توجه بقية رجال المهمات نحو سيارتين أخرتَين، إحداهما تسبق سيارة مراد والأخرى خلفه، بينما أشار نبيل لأمين شرطة لكي يحضر بكر وخديجة، وبالفعل ركبا في سيارة نبيل في المقعد الخلفي، وركب أمين الشرطة في مقعد السائق وجلس نبيل بجانبه.

وتحرك الركب المكون من أربع سيارات، وخديجة تجلس في المقعد الخلفي ودقات قلبها لا تكف عن الخفقان، والتوتر يسري بجسدها، حتى إن بكر شعر به فقال لها هامسًا مهدئًا:

- لا تقلقي يا أستاذة، ستكون الأمور على ما يرام، سيكون استجوابًا كسابقه.

ردت خديجة هامسة هي الأخرى:

- قلقي ليس عليّ، ولكن والدي لا يعلم أنهم سيصطحبونني إلى مديرية الأمن، وأنا لا أحمل هاتفًا جوالًا، وأخشى أن يصيبه القلق.

- لا تقلقي، بإذن الله لن نتأخر، وحتى لو حدث هذا فسيأتي إلى القسم، وسيخبرونه بأننا توجهنا للمديرية.

ظل نظر خديجة معلقًا بسيارة مراد عبر الزجاج الأمامي للسيارة، فقال لها بكر:

- لا تقلقي عليه، سيكون بخير.

- إنهم يعاملونه بقسوة.

- لقد مر بأسوء من ذلك مئات المرات.

- لقد مررت عليك بالسيرك ولم أجدك.

- نعم، تركت العمل بالسيرك واستأجرت غرفة صغيرة بمكان منعزل هنا بالمقطم، وكنت آتي يوميًا لأحضر بعض الطعام لمراد، حتى قال لي اليوم أمين الشرطة أنهم يريدوننا في المديرية..

- ولكن...

- ولم تستطع خديجة إكمال جملتها، فلقد أطاحت سيارة نقل ثقيل بمؤخرة سيارتهم، وجعلتها تدور حول نفسها بعنف قبل أن تنقلب رأسًا على عقب مرتين ثم تستقر على سطحها، وشعرت خديجة بآلام هائلة بجسدها، وشعرت بالدماء تتدلى من حاجبها وجسدها متكور على نفسه داخل مقعد السيارة الخلفي، بينما انطلقت تأوهات

من فم بكر، ونبيل يصارع كي يحرر نفسه من حزام السيارة، وأمين الشرطة يتأوه خلف عجلة القيادة والدماء تنزف من فمه. ومن مكانها -داخل السيارة المنكوبة- استطاعت خديجة أن تتعرف على قذيفتين صاروخيتين انطلقتا صوب سيارتَي الحراسة، لتطيحا بهما كالألعاب الصغيرة، مما اضطر سائق سيارة الترحيلات أن يضغط مكابح سيارته بعنف جعل سيارته تلتف بعنف حول نفسها، حتى سقطت على جانبها.

ومن العدم ظهر أكثر من ملثم يحيطون بالسيارات يحملون أسلحة آلية وبدأوا في تصفية من بقي على قيد الحياة داخل السيارات، وتوجه اثنان منهما صوب سيارتهم، وظلت عينا خديجة متعلقة بأقدامهما وهي تشعر أن نهايتها اقتربت، واقترب أحدهم من السائق وفجأة تناثرت قطرات من دمائه مع قطع عظام متناثرة وأجزاء من مخه على وجهها، لتختلط بدمائها مما جعلها تصرخ بجنون مما جعل المهاجم يتوجه نحوها، بينما استدار الآخر نحو نبيل، وتعلقت عينا خديجة بفوهة السلاح حتى إنها لم تجد لديها القدرة على مواصلة صراخها الهستيري.

إلا أن صوت زئير عالٍ صدر من مؤخرة سيارة الترحيلات المنكوبة، ثم إذا بباب سيارة الترحيلات يطير في الهواء، ومراد يقفز بجسده خارج السيارة ليقف مطلقًا زئيرًا جديدًا، لتتحول فوهات البنادق الآلية نحو جسد مراد إلا أن صوتًا انطلق فجأة:

- توقفوا.

وخطا ملثم بهدوء متقدمًا نحو مراد وهو يحمل في يده مسدسًا لم يوجهه حتى نحو مراد:

- أتعلم من أنا يا مراد؟

- شاهين.

- كان رد مراد سريعًا لدرجة جعلت ضحكة صغيرة تنطلق من خلف اللثام.

- جيد جدًا، وفرت عليّ الكثير.

ثم استدار متوجهًا نحو أسطول سيارات -ذات الدفع الرباعي والنقل- ينتظره، وهو يقول:

- لن نستطيع البقاء هنا طويلًا، الشرطة لن تسكت على هذا، مستر فؤاد يطلب رؤيتك.

لـم يـرد مـراد على كلام شـاهين وهـو يراقبـه يتوجـه نحـو إحـدى سـيارات الدفـع الرباعـي، ولكـن شـاهين نظـر نحـو مهاجمـي سـيارة نبيـل وهـو يقـول:

- لقد قال مستر فؤاد: لا شهود!

فوجـه أقربهـم لخديجـة فوهـة بندقيتـه نحوهـا إلا أن الجميع فوجـئ بحجـر يطيـح بالبندقيـة مـن يـده، ومـراد يقول:

- فكروا في حياتكم قبل أن تنفذوا الأوامر.

وفي الواقـع أن كلمـات مـراد كانـت مـن الشـدة التـي جعلـت الدمـاء تتجمـد في عـروق الرجـال، وهـم ينظـرون بدورهـم لشـاهين ينتظـرون أوامـر جديـدة، طامعيـن ألا تتعـارض مـع رغباتهـم الشـديدة في الحيـاة.

وثبـت شـاهين في موقعـه للحظـات إلا أنـه اسـتأنف سـيره وهـو يهتـف:

- لا بأس، أحضروهما معه.

فأشار الآخر نحو نبيل:

- ماذا عن هذا؟

رمق شاهين نبيل بنظرة ثم أدار عينيه نحو مراد ليصطدم بنظرة صارمة أدرك فحواها على الفور:

- أفقِده الوعي.

وبحركة تدل على خبرة وتمرُّس أدار المهاجم بندقيته ليهبط بكعبها على وجه نبيل، ليسقط في غيبوبة تامة.

وانطلق الموكب الجديد بخديجة وبكر ومراد ليخطف شوارع المقطم، وينطلق حتى يبلغ التجمع الخامس، وينطلق في شوارعه الفاخرة بين فيلّاتها وقصورها، ليقف أمام بوابة أحد تلك القصور قبل أن تنفتح تلك لبوابة ليظهر المزيد والمزيد من الرجال المدججين بالسلاح، لتقف السيارات على أبواب القصر فيفتح باب السيارة أحد الحرس ليصحبهم إلى الداخل عبر بوابة القصر.

منذ الوهلة الأولى لاحظ مراد علامات الارتباك التي تبدو على الجميع، وآثار الدمار الذي يحاول رجال القصر إصلاحه وترتيب ما بقي من الأثاث، بل إن مراد استطاع أن يشتم رائحة الدماء الطازج التي ما زالت تفوح من أرضية المكان الفخمة، حتى وصلوا جميعًا إلى كرسي وثير في صالة ضخمة بها سلم كبير يؤدي الى دور

علوي، وجلس على هذا الكرسي شخص أشيب الشعر ربط ذراع له بضمادة طبية، بينما أمسك في الذراع الأخرى عصا طويلة -يتكأ عليها- ذات رأس مصنوع من الذهب، وما إن رأي فؤاد خديجة وبكر حتى صاح بشاهين:

- ألم أقل لا شهود؟

همَّ شاهين بالرد إلا أن مراد قال:

- إنهما معي.

فاستدرك شاهين:

- لقد أصرَّ.

أدار مراد عينيه في أرجاء المكان ثم عاد ينظر نحو فؤاد كأنما يسأله عما حدث، ففهم فؤاد نظراته فسأل مراد بدوره:

- هل تعلم شيئًا عن هذا الهجوم؟

هز مراد رأسه نفيًا، فاستكمل فؤاد:

- إنه شخص مثلك يهاجم كالحيوانات ويقفز ويزأر مثلها، لم أرَ في حياتي شخصًا يفعل هذا غيرك، لقد اتفقت

مـع الوسـيط التنـزاني علـى حيـوان بشـري واحـد، يبـدو أن هنـاك نسـخة أخـرى منـك!

لـم يـرد مـراد علـى كلام فـؤاد، ولكـن ظهـرت علامـات الضيـق علـى وجهـه لتشـبيهه بالحيـوان البشـري، ولكـن هـذا لـم يمنـع فـؤاد مـن اسـتطراد حديثـه:

- أنـت تعلـم مـن أنـا، وأنـا الوحيـد الـذي يعلـم كيـف وصلـت إلـى هنـا، رجالـي ونفـوذي وأسـلحتي لـن تسـتطيع مقاومتهـم.

رد مراد بكلمة واحدة:

- طلباتك؟

- أريـد هـذا الهمجـي الـذي هجـم علينـا، هـذا الـذي اتصـل يطلـب أن يتفـاوض معـي مقابـل شـراء بعـض الحيوانـات، ثـم هجـم علـيّ وسـط قصـري ورجالـي، ولـم يفلـح إلا بسـرقة الكوبـرا بعـد أن أصابـه رجالـي بطلقـة، ولكـن هـذا كلفنـي بضـع رجـال. سـتأتيني بـه.

ثم نظر نحو خديجة وبكر:

- سأحتفظ بهما.

إلا أن مراد تحرك بجسده ليقف بينه وبينهما:

- لقد أتيا معي، وسيرحلان معي، أما رجلك سآتي به، ولكن إن بقيا فسيكون عليك مواجهتي أنا، فكر جيدًا قبل أن تصدر قرارك.

لم يكن فؤاد بترسانته من الأسلحة ولا بجيشه من الرجال ولا نفوذه -كواحد من أكبر تجار الأسلحة في القارة السمراء- من النوع الذي يشعر بالخوف، وخصوصًا عندما يأتي التهديد من فرد بلا عزوة ولا أسلحة، ولكن بالفعل نظرة في عين مراد أدرك معها فؤاد شيئين مهمين، أولاهما أن مراد لا يخادعه بل يهدده بالفعل، ثانيهما أن مراد ليس بالشخص الذي يستهان به.

لم يأخذ فؤاد وقتًا طويلًا لإدراك تلك الحقائق، ولم يأخذ أكثر من بضع ثوانٍ حتى كان رده جاهزًا أمام مراد:

- مراد، صديقي، كل رجالي وترسانتي تحت طوعك لمواجهة هذا الوحش، ولكن اعلم جيدًا أن كل هذا الجيش سيأتي في أعقابك إذا ما فشلت.

- استدار مراد بكل هدوء حتى وقف أمام أحد رجال

شاهين ينظر في عينيه مباشرة، ثم ألقى نظرة مطولة عليه من شعره حتى أخمص قدميه، مما جعل الرجال حوله يلتفتون إلى أنفسهم وإلى رئيسهم وشاهين لا يدركون ماذا يفعلون، إلا أن بكر تنحنح وهو يقول بصوت مرتجف:

- إنه يريد ملابسك.

انطلقت ضحكة طويلة من فم فؤاد لم يوقفها إلا آلام جروح ذراعه، ثم أشار فؤاد بيده للحارس كي يعطيه ما يريد، وهو يقهقه بشكل متقطع.

وما إن انتهى مراد حتى توجه في هدوء ليأخذ بكر وخديجة وينصرف في هدوء من القصر.

وفي داخله شعر مراد أنه بدأ مرحلة جديدة في حياته؛ مرحلة ليست كنقاء سابقتها، مرحلة بعيدة كل البعد عن حياة السيرك، مرحلة خطيرة.

عدو الشعب

وقف العقيد رفقي في المؤتمر الصحفي -الذي دعا إليه في مديرية الأمن- والغضب الشديد يبدو عليه وهو يتلو بيانًا كان قد أعده مسبقًا يرثو فيه شهداء الشرطة؛ ضحية الكمين الذي مكّن مراد من الهرب من أيديهم، ثم استطرد:

- في الواقع هو خطأنا منذ البداية، نحن من سمح لشخص تربى مع الحيوانات أن يعيش بيننا، نحن من سمح لقصته أن تتحول لأسطورة يتحاكى بها الناس البسطاء، والآن هذه الأسطورة أصبح لها جيش يهجم على الشرطة، ولكنني أَعِدُ هذا الجيش وأَعِدُكم جميعًا؛ الشرطة لن ترحم أي شخص يعتدي عليها، ولن تسمح لأي شخص أن يهدد أمننا وأمن هذا البلد، وأن الاعتداءات التي حدثت منذ هذا الهجوم حتى اليوم لن نقف مكتوفي الأيدي أمامها، ولن نسمح لأي فرد بأن يروّع المواطنين ويثير الفزع بين الجمهور، وسنضع حدًا قريبًا جدًا لتلك الهجمات. والآن أستميحكم عذرًا، فهناك الكثير والكثير ليتم.

كان هذا أمام الحشد الكبير من الإعلاميين والصحفيين، ثم نزل من المنصة وتوجه إلى باب جانبي بالقاعة رغم الأسئلة العديدة التي أخذت تدوِّي في القاعة الصغيرة، والعقيد رفقي يتجاهلها جميعًا حتى وصل إلى باب القاعة، وخرج منه وأغلقه خلفه فردُ الأمن، وهو يمنع الإعلاميين من مطاردة العقيد الذي وجد نبيل في انتظاره وضمادة بيضاء تغطي رأسه، ووضع علّاقة رقبة تثبت ساعده في جسده، بينما ملأت الكدمات والتجمعات الدموية وجهه وعينيه:

- لقد عدت باكرًا يا نبيل!

- لقد سمعت عن الهجمات التي تمت.

توجه العقيد رفقي نحو مكتبه آخر الردهة، ونبيل يجاهد لمواكبته حتى دخلاها، فقال رفقي:

- إنها أشبه بالمأساة يا نبيل، هذا الشخص يأكل ضحاياه.

- وما يدريك أنه شخص يا سيادة العقيد؟

- إنه مراد، ومن غيره؟

- أقصد أنه ربما يكون حيوانًا، هل تذكر السلعوة التي انتشرت منذ سنوات؟

- السلعوة لم تقتل أحدًا، ثم إن هناك شهود أكدوا أنهم رأوا شخصًا في الظلام يأكل ضحاياه.

تنحنح نبيل قليلًا:

- سيادة العقيد، إن مراد يعيش بيننا منذ سنوات، ما الذي يدفعه لأكل بشر الآن.

- أنت تقول هذا لأنه أنقذ حياتك، ولكن لا تنسَ أنه هارب من العدالة.

- أنا لم أنسَ يا سيدي.

جلس العقيد رفقي على مكتبه ثم سأل:

- ألم تظهر تلك الشاهدة المدعوة خديجة.

- لا، سيادة العقيد. ولكن منزلها وأهلها تحت المراقبة.

اتكأ رفقي على كرسيه وأراح رأسه إلى الخلف وهو يفكر لدقائق، ثم قال بصوت هادئ كأنما يفكر بصوت مسموع:

- نحتاج شخصًا يستطيع أن يواجه مراد، ويقبض عليه إذا ما وصلنا إليه.

- ماذا عن هذه العصابة التي هجمت علينا.

- هم أتباعه، يأتمرون بأمره.

- لقد ذكروا اسم شخص يتبعونه يدعى فؤاد.

سكت رفقي قليلًا وهو يفكر ثم أعاد الكَرَّة:

- من يمكن أن يواجه مراد.

سكت نبيل بدوره وهو يتابع رئيسه وهو يفكر حتى نظر إليه رفقي متسائلًا

- من يا نبيل؟

- كان هناك شخص في قسم البحث الجنائي يدعى قدري سليمان، لم أرَ بحياتي شخصًا يقاتل مثله، ولكنه استقال منذ بضعة أشهر بعد فضيحة في قسمه سُجِنَ على إثرها رئيسه وبعض معاونيه.

- لن يصلح هذا أمام الرأي العام.

ثم أراح رأسه إلى الخلف للحظات قبل أن يعتدل فجأة وهو يسأل:

- ماذا عن هذا الرائد الذي أحبط هجومًا إرهابيًا العام الماضي؟

- أتقصد الرائد نادر؟

انتصب رفقي مرة واحدة:

- بالضبط.

- سيدي، ستكون أقرب إلى صراع غابة منها إلى مطاردة شرطة.

ابتسم رفقي:

- وماذا في ذلك، فلنستمتع قليلًا.

ثم جلس مرة أخرى:

- ابحث لي عن هذا الرائد وائتني به أينما كان.

أدى نبيل التحية العسكرية باليد الأخرى وهو يقول:

- عُلِم وينفذ يا سيدي.

ثم خرج من الغرفة ليترك العقيد رفقي وهو يتابع باب الغرفة حتى أغلقه خلفه، ثم تناول هاتفه ليتصل برقم ما وينتظر حتى أتاه الرد من الطرف الآخر:

- مستر فؤاد، كيف أحوالك؟

- سيادة العقيد رفقي بنفسه!

- هل سمعت أي أخبار عن مسلحين هجموا على موكب ترحيل بالمقطم؟

- سمعت عبر وسائل الإعلام.

- هناك من يقول إنهم رجالك.

- أهناك شهود أو دليل؟

- أنت لست بمحل اتهام أو شك، مستر فؤاد.

صمت فؤاد قليلًا:

- ما الذي تريده يا رفقي؟

- أريد هذا الحيوان الآدمي ميتًا.

- هو ليس عندي.

- ولكنك حررته، وتعرف كيف تعثر عليه.

هذه المرة لم يأته أي جواب من فؤاد، فاستطرد رفقي:

- لقد أرسلت أفضل رجالنا وأشرسهم خلف رجلك،

وسأحصل عليه بالنهاية، فربما كانت هذا الخدمة يمكنك أن تقدمها لنا، هو الآن بين المطرقة والسندان، وسيلجأ إليك بالتأكيد. جميعنا يعلم من أنت، ويعلم أنه لا يمكن أن يدخل أي حيوان من إفريقيا أو الهند إلا عبرك.

- لو افترضنا أنني أستطيع الوصول إليه، فإن هذه الخدمة ستكون باهظة الثمن.

- تأكد أن لكل سلعة ثمنها مستر فؤاد.

- أراك على خير سيادة العقيد.

وارتسمت على وجه العقيد ابتسامة وهو يتصور نفسه بطلًا شعبيًا بعد أن يقتل الوحش.

سيطبق عليه بذراعَي الكماشة؛ الرائد نادر وقوة ضاربة من ناحية!

وفؤاد ورجاله من ناحية.

- فؤاد يتلاعب بنا.

هكذا رددت خديجة، وهي تجلس مع بكر ومراد في الغرفة الضيقة المعتمة بالحي الشعبي من منطقة المقطم، بينما وقف مراد عاري الصدر ينظر من شباك علوي يطل

على شارع مرتفع، مدفون تحته الدور السفلي للبيت.

- فؤاد فقط يريد من أذاقه هوان الذل داخل بيته، شخصية فؤاد لا ولم ولن تسمح لأحد أن يهجم على منزله ويظل على قيد الحياة. هو يعلم جيدًا أن حتى رجاله لن يكونوا بالكفاءة لمواجهة ذلك المدعو محسن، وأن مراد وحده هو من يمكنه ذلك.

- لقد رأينا محسن هذا يقاتل مراد يا عم بكر. وأعتقد أن مراد نفسه رغم قوته تراجع أمام هجومه الذي يشبه إلى حد كبير الحيوانات التي خطفها، بل إن محسن استطاع أن يحمل مراد كالدمية الصغيرة ليضرب به حرفيًا عرض الحائط، ولولا قوة مراد ما تحمل تلك الضربة.

رغم أن مراد لم يُدِر رأسه نحوهما إلا أن زمجرة خفيفة -استطاع بكر أن يميزها- صدرت من صدره، كانت تحمل غضبًا وحنقًا حاول بكر أن يتجاهله وهو يرد:

- مراد لم تتح له الفرصة كاملة.

- أنا لا أشكك في قدرات مراد، ولكنني أحاول تحليل الموقف بعقلانية. يبدو أن هذا المدعو محسن وجد طريقة

ما لنقل قدرات الحيوانات إليه، ولقد واجهه مراد وهو يحمل قدرات أسد وغوريلا فقط، والآن وقد حصل على الكوبرا -ومن يعلم ما غيرها- فإن قوته تزداد، ومراد ربما لا يستطيع إيقافه.

ساد الصمت برهة بعد كلمات خديجة، فنهضت خديجة وتوجهت لتقف خلف مراد لتضع أناملها الرقيقة على كتفه:

- أريدك أن تفكر في الأمر قليلًا، فؤاد فقط يريد انتقامه، وأنت لست بقيمة بالنسبة له ليخسرها، أنت مجرد أضرار جانبية، ومحسن هذا تزداد قوته يومًا بعد يوم وتزداد شراسته، فحوادث القتل التي تُنسَبُ إليك يوميًا خير دليل على ذلك، وتتبُّعه مهمة شاقة حتى على رجل بقوة ونفوذ فؤاد.

استدار مراد ليواجه خديجة بنصف وجهه المشوه الذي تجاهد خصلات شعره دومًا لطمس تلك العلامات من عيون ناظريه، ولكن عيناه وقعتا في عينيها، كأنه يقول لها لماذا أوقعتك أقدارك في طريقي، وكعادته بكر فهم كل كلمة لا ينطق بها مراد، فقال بصوت خافت:

– ربما من الأفضل أن تعودي إلى أهلك يا أستاذة، أعتقد أن والدك في قمة القلق عليكِ، ونحن سنتدبر أمورنا جيدًا، نحن فقط ننتظر اتصالًا من رجال فؤاد وستكون الأمور على ما يرام.

استدارت خديجة بحدة نحو بكر:

– لا.

– لا ماذا يا أستاذة؟

– لا، لن أترككما قبل أن نبرئ مراد، ولا، لن تصبح الأمور بخير يا عم بكر.

ثم نظرت نحو عينَي مراد تسأله:

– كيف تعرف فؤاد وشاهين يا مراد؟

– هما من أحضراني إلى مصر.

– إنهما مهربان أليس كذلك؟

لم يجاوب مراد على ذلك السؤال وهو يتطلع إلى وجه خديجة:

– أنا لا أهتم لفؤاد ولا لتهديداته ولا حتى الشرطة

واتهامها لي، محسن يقتل الآن للمتعة، لقد تحكمت فيه غريزة حيوانية ولن يستطيع أن يتوقف، يجب أن يوقفه أحدهم.

ثم نظر نحو بكر:

- نحتاج خطة جيدة يا بكر.

ثم جلس في نهاية الغرفة:

- استمعا لي جيدًا.

وعلى مدار دقائق وفي أطول حوار لمراد في حياته، شرح مراد لبكر وخديجة خطوط ما سيحاول فعله في الأيام المقبلة، ثم طلب من بكر الاتصال بشاهين عن طريق الهاتف الذي حصل عليه من الحارس:

- جيد أنك اتصلت يا بكر، لقد كاد مستر فؤاد أن يصيبه القلق.

- مراد يريد طُعمًا.

- طُعمًا؟

- نعم، شيء لا يستطيع هذا الحيوان البشري -كما

سماه مستر فؤاد- أن يتجاهله؛ حيوان شرس، نادر، مفترس، قوي. ويجب أن يظهر هذا الحيوان للعلن.

- أنا لا أفهم يا بكر!

أتته ضحكة قصيرة لم يستطع بكر كتمانها، مما أثار احتقان شاهين قبل أن يأتيه صوت بكر عبر الهاتف:

- لقد قال إنك ستقول هذا، وقال لي أن أخبرك أن تبلغ الكلام لمستر فؤاد وهو سيعلم ماذا يفعل.

قالها بكر وأنهى الاتصال مما زاد من حنق شاهين وهو يتمتم :

- أقسم أن أقتلك في نهاية الأمر يا من تعيش مع الحيوانات، أيها البائس!

ثم توجه نحو غرفة مستر فؤاد، ليجده مستلقيًا على أريكة وثيرة، وهو ممسك عصاه بيد والأخرى تحمل جهاز التحكم عن بعد في التلفاز الذي يقلب قنواته في ملل ملحوظ.

- مستر فؤاد، لقد اتصل بكر، مراد يريد طُعمًا، يريد حيوانًا شرسًا وسريعًا وقويًّا ونادرًا لا يستطيع هذا الرجل

الحيـوان أن يتجاهلـه. ويطلـب أن يكـون الأمـر علنـيّ.

ظـل شـاهين ينظـر في عينـي مسـتر فـؤاد منتظـرًا أن يصـرخ بـه مـا معنـى هـذا، ولكنـه فوجـئ بابتسـامة ترتسـم على وجـه فـؤاد وهـي تـزداد اتسـاعًا وفـؤاد يهـز رأسـه برضـى ويقـول:

- أبلغـه أن طلبـه موجـود. وسـيظهر علـى قنـوات التلفـاز اليـوم، مسـاءً.

وكـم ودَّ شـاهين أن يسـأل عنـد تلـك المرحلـة مـا الـذي سـيظهر، ولكـن إشـارة يـد فـؤاد لشـاهين أن يرحـل جعلتـه ينسـحب في هـدوء وهـو يسـأل مـن داخلـه: هـل هـو بالفعـل بهـذا الغبـاء، أم إن مـراد وفـؤاد لديهمـا لغتهمـا الخاصـة؟

إلا أن فـؤاد لـم يُضِـع أي وقـت وهـو يسـتل جوّالـه مـن جانبـه ليبحـث بيـن أرقامـه عـن رقـم مـا، حتـى وصـل إلـى رقـم كتـب عليـه اسـم دينـا مجـدي، حتـى اتسـعت ابتسـامته وهـو يتصـل بالرقـم حتـى أتـاه صوتهـا الأنثـوي العـذب مرحبًـا:

- مستر فؤاد، تذكرتني باتصالك أخيرًا!

- نجمتنا الغالية، كيف حالك؟

- بخير عندما سمعت صوتك.

- لقد أحببت فيلمك الأخير جدًا.

- أنت لم تحضر العرض الخاص مستر فؤاد.

- أنتِ تعلمين أنني عكسك؛ أكره الأضواء والظهور، ولكنه أعجبني عندما شاهدته.

- شهادة أعتز بها.

- يسرني أن أقدم إليكِ هدية بمناسبة هذا النجاح.

- لا داعٍ لهذا مستر فؤاد.

- أعلم ولعكِ بالحيوانات، هذه المرة سأقدم لكي شيئًا خاصًا، سأقدم لك الفهد الصياد؛ أسرع حيوان على وجه الأرض، يستطيع الانطلاق من سرعة الصفر إلى حوالي المائة كيلومتر بالساعة في ست ثوانٍ فقط، منافسًا بذلك سيارات السباق.

فوجئ فؤاد بصرخة فرح:

- لا أعلم كيف أشكرك مستر فؤاد. بالطبع سيكون معه أوراقه، أليس كذلك؟

- لا تقلقي، كل شيء سيكون قانوني. سأرسله إليك بعد ساعتين.

ثـم أغلـق الهاتـف وهـو يعلـم أن اختيـاره لهـا بمحلـه، لـن تسـتطيع إخفـاء الأمـر،

وسـتظهر في كل قنـاة تتباهـى بحيوانهـا النـادر، وسـتكون كمـا طلـب مـراد تمامًـا؛

طُعمًا مثاليًا.

النَجمة

ظـل نبيـل بمكتبـه حتـى سـاعات متأخـرة مـن الليـل -كعادتـه- بعـد أن قطـع إجازتـه المَرضيـة وعـاد إلـى عملـه. كان التلفـاز الصغيـر في مكتبـه مفتوحًـا دون صـوت تمامًـا، أمـام مكتـب نبيـل الـذي بـدت عليـه علامـات الإرهـاق وهـو ينهـي اتصالاتـه، محـاولًا تنفيـذ رغبـة العقيـد رفقـي لانتـداب الرائـد نـادر -الشـاب- لإدارتهـم لمتابعـة تلـك القضيـة. إلا أن الأمـر لـم يكـن بالهيّـن وهـو يتنقـل مـن إدارة لإدارة عـبر الهاتـف، والجميـع يخبرونـه أنهـم سـمعوا عـن نـادر، ولكنـه لا يعمـل في إدارتهـم حتـى أرشـدهم أحدهـم للاتصـال بوحـدة مكافحـة العمليـات الإرهابيـة، وأعطـاه رقمًـا لهـم. ولـم يكـد نبيـل يتصـل بهـذا الرقـم حتـى رد عليـه صـوت غليـظ، فبـادر نبيـل بالسـؤال:

- هل يمكنني التحدث إلى الرائد نادر؟

كان الـرد عبـارة عـن فـترة صمـت، تخيـل نبيـل أن صاحبهـا قـد أغلـق سـماعة الهاتـف بالجهـة المقابلـة مـن الاتصـال، حتـى قـال الصـوت الغليـظ:

- من معي؟

- معك الرائد نبيل من مكتب العقيد رفقي بمديرية الأمن.

- من أخبرك أن تتصل بنا؟

- إنني فقط أحاول الوصول إليه، واتصلت بكل مكاتب المديرية ولم يحالفني الحظ، حتى أرشدني أحدهم أن أحاول بمكتبكم.

ساد الصمت بعدها فترة حتى قال صاحب الصوت الغليظ:

- إنه لا يعمل معنا، ولكن هل لي بطلب؟

- بالطبع.

- إذا استطعت الوصول إليه، هل يمكنك الاتصال بي شخصيًا وإخباري؟ أدعى المقدم زاهر، هل يمكنك تنفيذ هذا الأمر لي؟

- بالطبع، لا أرى مانعًا من هذا.

نهض نبيل وقد أنهكه العمل، وتوجه نحو التلفاز

لإغلاقه، إلا أن خبرًا استوقفه وهو يرى الممثلة القديرة دينا مجدي تظهر ويظهر خلفها قفصًا ليس بالصغير في حديقة منزلها، وخبر يذيِّل القناة أن الممثلة دينا مجدي استطاعت اقتناء أسرع حيوان على وجه الأرض.

كان الفهد الصياد حيوانًا جميلًا بحق، وهو يتحرك داخل القفص بلونه البني المنقط بنقط سوداء، وقد بدا في عينيه بريقًا إلا أن كل هذا لم يشغل نبيل كثيرًا وهو يمد يده ليطفئ الجهاز وهو يتمتم:

- ثراء، وفراغ.

ولم يكد يفعل حتى ارتفع جرس الهاتف بمكتبه:

- سمعت أنك تبحث عني؟

- من معي؟

- أنا الرائد نادر.

- لقد أنهكني البحث عنك أيها الرائد.

- أرجو أن يكون الأمر يستحق العناء الذي تكبدتَّه!

- في الواقع، إن العقيد رفقي هو الذي يطلبك بنفسه.

- لست مهتمًا على الإطلاق.

شعر نبيل أن نادر سيغلق سماعة الهاتف بوجهه فهتف:

- انتظر، أرجوك.

- ما طبيعة المهمة، سيادة الرائد؟

- هل سمعت عن مراد، موكلي العرب؟

- نعم، سمعت.

- لقد بدأ يقتل ويأكل ضحاياه، والعقيد رفقي يريد من يقبض عليه.

ظل نادر صامتًا لمدة طويلة قبل أن يرتفع صوته وهو يقول:

- لا بأس، سأنهي بعض الأوراق وسأتصل بك.

- أي أوراق؟ ربما أستطيع مساعدتك.

- شكرًا لك أيها الرائد، سأتصل بك.

قالها وأغلق خط الهاتف ليتنفس نبيل الصعداء، بعد أن كاد أن يفشل في تنفيذ ما طلبه منه العقيد رفقي.

نـزل نبيـل مـن مكتبـه واتجـه مباشـرة صـوب سـيارته، وتحـرك بهـا مـن أمـام مديريـة الأمـن إلا أنـه فوجـئ -علـى بُعـد أمتـار قليلـة- ببكـر وخديجـة يقفـان علـى جانـب الشـارع، فضغـط مكابـح سـيارته بعنـف أمامهمـا.

كان الهـدوء الشـديد يبـدو علـى بكـر، بينمـا كانـت تبـدو بعـض علامـات الاضطـراب علـى وجـه خديجـة، إلا أن نظـرة واحـدة نحـو عينـي بكـر كانـت تشـعرها بالأمـان.

نـزل نبيـل مـن سـيارته ليواجـه بكـر وخديجـة، إلا أن خديجـة سـارعت بالحديـث:

- هو لم يفعلها.

ظـل نبيـل يـدور بعينيـه بيـن عينَـي خديجـة وبكـر، وقـد بـدا هادئًـا هـو الآخـر:

- أتعلمان عقوبة مساعدة هارب من العدالة؟

- قلت لك هو لم يقتل أحدًا.

هز نبيل كتفيه:

- لا أبالـي، هـو مطلـوب للعدالـة، فليسـلم نفسـه ويـترك القانـون يحـدد.

تدخل بكر في حوارهما:

- لقد أنقذ حياتك.

- لقد تسبب في مقتل وحدة قوات خاصة كاملة.

- لم يكن هو من هجم عليكم.

- لقد كانوا يحاولون تهريبه.

- بل كانوا يحاولون خطفه من بين أيديكم.

صمت نبيل لثوانٍ ظل يتفحص فيها ملامح بكر وخديجة قبل أن يقول:

- أعطياني سببًا واحدًا يمنعني من إلقاء القبض عليكما الآن؟

ابتسم بكر:

- جيد أننا وصلنا إلى هذه النقطة، يمكننا أن نسلم لك القاتل وأفراد العصابة التي هجمت عليكم، ولكن هناك ثلاثة شروط.

ارتفعا حاجبي نبيل دهشةً:

- شروط؟

- ليست بالكبيرة، أولهم وسيلة اتصال مباشرة بك.

- يمكنني إعطائك هاتفي الشخصي.

- ثانيهم ألا يعلم أحد سبب توجهك إلى العنوان الذي سنعطيك إياه، لا رؤساؤك ولا القوة المصاحبة لك.

- أنتما تتدخلان في أمور أكبر منكما.

- في الواقع هذه أوامر مراد نفسه، هو لا يثق سوى بك، ولا نعلم لماذا.

ظهرت علامات التفكير على وجه نبيل لثوانٍ:

- فرضًا أنني أستطيع تحريك قوة من المديرية دون إبداء أسباب، لماذا أثق به؟

- إنه يقول لك أنه لو كان يريدك ميتًا لكان تركهم يجهزون عليك.

- ماذا عن الطلب الثالث؟

ازدادت ابتسامة بكر اتساعًا، واختلطت بها نظرة مكر وهو يرد:

- يريد منك هدية.

- هدية؟

- اسمعني جيدًا وفي النهاية ستحصل على ما تريد.

وظل نبيل يستمع إليه وبداخله صوتان؛ أحدهما يرفض التعاون مع رجل الغابة هذا، والآخر يود معرفة الحقيقة مهما كلف الأمر،

مهما كلف.

- ألا ترى أن تلك الهدية مبالغ بها، مستر فؤاد؟

سأل شاهينُ فؤادَ الذي جلس أمام حمام السباحة الخاص به، والذي يزين حديقة قصره.

- لم أفكر يومًا في قيمة أي هدية أعطيها لأحد، دائمًا أفكر في العائد الذي سيعود عليَّ من تلك الهدية.

-عائد! أنت تريد شيئًا من دينا مجدي؟

ضحك فؤاد ضحكة مجلجلة قبل أن يرد:

- ستظل مثالًا للغباء ما حييتَ يا شاهين. والآن، جهز رجالك، سيكون لديكم الكثير من العمل اليوم.

- كم تريد من الرجال، مستر فؤاد؟

- اتـرك قـوة كافيـة لتأميـن القصـر، وخـذ مـا بقـي مـن الرجـال معـك.

- كلهم يا سيدي؟

- كلهم، بكامل عتادهم يا شاهين.

- أسنواجه جيشًا؟

- بـل سـتواجهون حيوانَيـن برِّييـن؛ هـذا الحيـوان الـذي هجـم علـى مملكتـي سـيواجهه مـراد، أريـدك أن تـترك أحدهمـا يجهـز علـى الآخـر فـإذا سـنحت لـك الفرصـة اقـضِ علـى الاثنيـن، لا أريـد أيًّـا منهمـا حيًّـا.

لمعـت عينـا شـاهين كمـا لـو أن الفرصـة التـي يتحينهـا منـذ زمـن قـد حصـل عليهـا للتـو:

- أمرك، مستر فؤاد.

ثـم اسـتدار مغـادرًا قبـل أن يتوقـف علـى بعـد خطـوات ويسـأل:

- هل هناك نوع معين من الأسلحة تريدنا أن نستخدمه؟

ابتسم فؤاد بمكر:

- خذ ما يلزم لإتمام المهمة يا شاهين.

غمرت علامات الراحة والرضا وجه شاهين وهو يغادر مجددًا وهو يقول:

- ستتم يا مستر فؤاد، ستتم.

لم تكن علامات الرضا التي تكونت على وجه شاهين شيئًا يقارَن بعلامات الفرحة التي بدت على وجه دينا حمدي، وهي واقفة أمام ذلك الفهد الذي أخذ يجوب أطراف قفصه وهي ترمي له بعض الفئران واللحوم الطازَجة، وتراقبه يلتهمها وهي واقفة في قبو فيلَّتها بين حراسها وحارس الحيوانات، حيث قبعت بعض الطيور الجارحة والكلاب المدربة والبرية، ودينا نفسها تتفحصهم وهي تقول:

- مجموعة جميلة من الحيوانات.

ثم التفتت نحو الذئب الليبي مرة أخرى:

- ولكن هذا الحيوان النادر له مذاق خاص، إنه ملك المجموعة الآن.

قال لها حارسها الشخصي:

- إنه قيم جدًا، سيدتي.

- لم أدفع قرشًا واحدًا.

سألها الحارس:

- معجب؟

- بل مقدِّر للفن وذو حسٍّ فنيّ عالٍ.

ثم استدارت لتصعد درج سُلَّمها ويتبعها الحراس، يتقدمهم الحارس الشخصي، وهي تعطي أوامرها للحارس:

- لا أريده أن يشعر بالجوع أو أن يمرض يا جابر، أفهمت؟ حياته أغلى منك.

- لا تقلقي يا نجمتنا.

وصلت دينا مع ركبها إلى الدور الأرضي للفيلا، لتجد أن عقارب الساعة تشير للثالثة من صباح اليوم التالي، فقالت لحارسها وهي تتثاءب:

- أريدك أن تحرس الفيلا جيدًا، أصبح لدينا شيء نادر، ربما يسعى شخصٌ ما أو جهةٌ ما للحصول عليه.

- لا تقلقي أيتها النجمة، أنتِ تعلمين أنني كنت بالصاعقة قبل أن أترك وظيفتي وأتجه للعمل الخاص.

- أعلم من أنت، ولكنني أتحدث عن الحراس.

- سنحتاج أن نزيد العدد قليلًا.

- لا بأس يا حكيم، أحضر من تراه مناسبًا.

ثم تثاءبت مرة أخرى:

- أكره أن أتركك، ولكنني سأتوجه للنوم.

- أحلامًا هنيئةً أيتها النجمة.

- وسهرة سعيدة لكم.

ثم صعدت درجات السلم لتختفي في الدور العلوي، ويبدأ حكيم في توزيع الحراس وتفقد الإجراءات الأمنية للفيلا وهو يدور حولها أكثر من مرة؛ يبحث عن أي ثغرة في المنظومة الأمنية خاصته.

ورغم أن شيئًا ما -داخل حكيم- كان ينبئه أن هناك خطب ما، إلا أن كل مرة يتفقد فيها جداره الأمني وحراسه لا يجد ما يعلق عليه، حتى آثر الاستكانة عند سلم الفيلا الخارجي وهو يتابع اللحظات الأخيرة لليل، إلا أن فجأة

دوى صوت الكلاب، أتبعها تعالي صوت جميع الحيوانات بشكل يصم الآذان، مما دفع حكيم إلى الإسراع للداخل ليتفقد الحيوانات داخل القبو، فإذا بحارس الحيوانات يتحرك بعصبية بينهم، بينما انتابت حالة من الهياج الشديد والعصبية المفرطة كل الحيوانات التي أخذت تصول داخل أقفاصها:

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟

- لا أعلم يا حكيم، جنون وأصاب الحيوانات.

انطلقت طلقة في الخارج ركض على أثرها حكيم إلى الخارج مستلًا سلاحه، ليصعد درجات القبو مرة أخرى، ليفاجأ أمامه بِدينا، وقد هبطت سلالم الدرج وهي ترتدي ملابس نوم فاضحة تظهر مفاتن جسدها الرائع، وتجري وراءها خادمتها وهي تحاول منعها من النزول:

- ما الذي يحدث يا حكيم؟

لم يتوقف حكيم ثانية واحدة، ولم يلتفت حتى لدينا وهو يهرع إلى الخارج صائحًا:

- لا أعلم بعد يا سيدتي.

ثم أشار بيده نحو الخادمة:

- خذيها إلى الأعلى يا فوزية.

ثم خرج من باب الفيلا الضخم نحو الحديقة، وفوزية تحاول منع مخدومتها من الخروج خلفه، إلا أن دينا نفسها لم تعطها الفرصة وهي تعدو لتتعلق بظل حكيم. وفي الحقيقة أن دينا نفسها لم تكن لتشعر بالأمان إلا بجانب هذا الرجل الذي أعطته أكثر من قلبها منذ فترة طويلة؛ وحكيم نفسه لم يجد لديه الوقت لمناقشتها أو نهرها، لقد كان يشعر بداخله بعدم راحة غير مفهوم، وتلك الأحداث صدقت حدسه الذي يثق به كثيرًا، وتناول حكيم جهاز التواصل بينه وبين رجاله ليدوي صوته:

- من أين يأتي صوت الرصاصة تلك؟

أتاه صوت عبر جهاز اللاسلكي:

- هناك شيء ضخم يتحرك في الحديقة الخلفية لقد أطلـ...

ثم دوت صرخة عالية وصوت طلقات بندقية آلية بدأ يتردد في المكان، ودوى صوت آخر عبر جهاز اللاسلكي:

- نريد دعمًا في الخلف هنا، هذا الشيء سريع ويهجم علينا.

ثم دوى صوت طلقات أخرى، وحكيم يعدو بكل سرعته ليدور حول الفيلا الضخمة، إلا أنه عندما وصل عند آخر الحائط الأمامي لها إذا بشيء ضخم يصطدم به وهو يعدو بسرعة خيالية، وهو دور حول الفيلا متجهًا مباشرةً نحو بوابتها الأمامية، وطار حكيم في الهواء ليسقط على بعد مترين، بينما التصقت دينا بالحائط لمدة ثوانٍ، ثم انطلقت نحو حكيم وهي تطمئن عليه، بينما وقفت الخادمة تصرخ والحرس يوجهون أسلحتهم نحو هذا الوحش الذي اختفى داخل باب الفيلا المفتوح.

- هل أنت بخير يا حكيم؟

نهض حكيم بصعوبة وهو يستل مسدسه -الذي سقط منه- مرة أخرى:

- أنا بخير، لا تقلقي.

ثم أدار عينيه حوله نحو الرجال المتأهبين بأسلحتهم وهو يسأل:

- أين ذهب؟

أجابه أحدهم:

- لقد دخل الفيلا مباشرةً، هذا الشيء ضخم وسريع.

نظم حكيم رجاله سريعًا بينما تقدم هو مع أحدهم لاقتحام الفيلا، إلا أن صوت محسن دوى من الداخل:

- كل ما أريده هو هذا الحيوان وسأخرج من هنا دون أن أؤذي أحدكم، إذا لم تتعرضوا لي.

نظر الرجال نحو بعضهم البعض والتردد يظهر على وجوههم، بينما نظر حكيم نحو دينا التي بدت منهارة، وقد شعر بألم يعتصر كرامته وشخصٌ ما يهجم على بيت نجمته وحبيبته وهو لا يستطيع منعه، هو من كان عضوًا في القوات الخاصة.

- لماذا لا تخرج إلينا ونناقش أمر هذا الحيوان.

ظهر بالفعل محسن عند باب الفيلا وهو يحمل جِوالًا كبيرًا وضع به الفهد مقيدًا، بينما احتمى خلف جسد حارس الحيوانات المسكين وهو يضع مخالب يده الأخرى على رقبته.

- لن تستطيع أن تتخطانا، اترك الحارس والحيوان ولن نؤذيك.

انطلقت ضحكة قصيرة ساخرة من بين شفتي محسن:

- بل أستطيع، ولكنني أرغب أن يمر اليوم بسلام.

- فقط اترك ما بيدك.

لم يكن محسن بالشخص الصبور أو المولع بتبادل أطراف الحديث -قبل أو بعد أن أخذ بعض صفات الحيوانات التي سرقها- لذلك، فقد أدرك فور أن رأى حكيم ورجاله أن الأمور لا يمكن أن تمر بلا دماء، لذلك، فلقد أطاح بحارس الحيوانات المسكين ليصطدم بحكيم واثنين من الحراس خلفه، ثم قفز وسط الحراس المسلحين ليبدأ الإطاحة بمسدساتهم وأجسادهم الواحد تلو الآخر، بينما تنطلق رصاصة بين الحين والآخر يستطيع محسن أن يتفاداها، حتى وقف حكيم مرة أخرى وأطلق رصاصة ظن أنها مُحكمة، ولكن لسرعة محسن استطاعت الرصاصة أن تمرق في عضلة الكتف لمحسن الذي شعر بألم هائل، وكمية كبيرة من الغضب جعلته يطيح بالجِوال من يده، ثم ضرب بخوالبه يمينًا ويسارًا مطيحًا بالحراس

الواحد تلو الآخر، ثم قفز عاليًا ليهبط فوق حكيم الذي حاول أن يتفاداه، فألقى بنفسه على الأرض ثم ارتكز على ركبته ليصوب مسدسه مرة أخرى نحو محسن، ولكن الأخير أمسك بقدم حارس أمن آخر ليلقيه نحو حكيم، فاصطدم به بعنف وسقطا أرضًا.

ومن تحت حارس الأمن لمح حكيم محسن وهو يقفز عاليًا، وحاول أن يحرك يده بالمسدس من تحت الحارس الضخم، ولكن وزن الحارس كان أكبر من أن يحرك يده سريعًا، وعرف حكيم أن محسن سيصل إليه قبل أن يرفع مسدسه، وانتظر تلك اللحظة، ولكن انتظاره طال للحظات جعلته يبحث -من تحت الحارس الضخم- عنه، ليلمح جسدين يقعان على الأرض خلفهما، ويدوران سريعًا ويقفان متحفزان، ومحسن يقول:

- أنت مرة أخرى!

وقف أمامه مراد ليمزق قميصه من فوق صدره ليظل بجسده العاري -حيث يفضل أن يخوض نزالاته- ولكن محسن قال:

- أنت لست نِدًّا لي يا مراد، ربما تربيت مع الحيوانات ولكنك لم تكن بقوة أحدهم، لقد أطحت بك وأنا بقوة اثنين، ولكنني الآن أحمل صفاتٍ أكثر من ذلك.

ثم أردف:

- انظر حولك يا مراد؛ استطعت الإطاحة بخمسة عشر رجلًا بمفردي، لن تستطيع حتى إبطائي أو منعي من أخذ ذلك الجِوال.

بالفعل -وبهدوئه المعتاد- أدار مراد عينيه فيما حوله، حتى ألقى نظرة على الجِوال الذي تركه محسن من يده منذ لحظات، وبداخله الفهد المكبل، ثم عاد ينظر لمحسن:

- ربما تكون أخذتَ صفاتٍ من حيوانات متعددة، ولكنني هزمت كل حيوان في الغابة.

ثم قفز مراد نحو محسن، ولكن الأخير رفع كفه ليستقبل رقبة مراد عاليًا، ومنذ الوهلة الأولى شعر مراد بأن محسن محق، وأن قوته قد تضاعفت أكثر من مرة، ولكن قانون الغابة لم يكن أبدًا بالأقوى فقط؛ بالأقوى والأذكى

والأمهر، والأكثر استغلالًا للفرص. لذا، فلقد هبط مراد بمرفقه على مرفق محسن المفرود ليجبره على ترك رقبته، ولكن محسن أطاح بقبضته بضربة هائلة أصابت فكَّ مراد وألقته على الأرض، ولكن الأخير نهض سريعًا ليفاجَأ بمحسن يقف على بُعد نصف متر منه، ليهبط بمخالبه على صدره العاري، وتراجع مراد للخلف محاولًا تفادي المخالب ولكنها كانت أسرع منه، ليشعر مراد بكلاليب تقطع لحمه وتنبش ضلوعه، فإذا به يطلق زئيرًا عاليًا، ولكن محسن استغل تلك الفرصة ليقفز بجسده في الهواء ويصطدم بجسد مراد ويهبط به إلى الأرض، وهو يهبط بقبضتيه على صدره مرات متعددة، ومراد يشعر بألم هائل يعتصر صدره، والهواء بدأ ينفد منه، بل إنه شعر بضلعٍ له يُكسر، وفي حركة يائسة غرز مراد مخالبه في كتف محسن المصابة، ليصرخ من الألم ويتراجع لمدة ثانية، ولكن كانت تلك الثانية كل ما يحتاجه مراد، لقد رفع مراد قدميه عاليًا ليدفع محسن في صدره بكل ما أوتي من قوة، ليطير جسد محسن ويصطدم بشجرة بحديقة المنزل، ليسقط بجانب الجِوال -الذي يحتوي على الفهد- وهو يلهث،

بينما نهض مراد بصعوبة بالغة والدماء تنزف من صدره، وهو يلهث هو الآخر ويبصق دمًا.

ولكن فجأة أطاحت قذيفة ببوابة المنزل الحديدية الضخمة، ليدخل معها جيشًا من الملثمين في ثلاث سيارات، يقودهم شاهين في سيارة ذات دفعٍ رباعي، في حين اتبعتها سيارتا نقل صغيرة وقف في صندوقَيهما الخلفيان ما لا يقل عن العشرين مسلحًا، بين أسلحة آلية وحتى مدافع لقذائف انطلقت جميعها صوب مراد ومحسن، بينما نجح حكيم في أن ينهض من تحت الحارس الضخم لينجح في الوصول لِدينا ويشدها ليرميها على طول يده داخل الفيلا، ويلقي بنفسه على الأرض خلفها. وقفز محسن ومراد ليتفاديا القذائف، وتعلق محسن بإحدى الأشجار بينما نجح مراد أن يستتر خلف أحد الجدران.

ولكن لم يستمر إطلاق النار أكثر من ثوانٍ قليلة، حتى فوجئ الجميع بصوت سارينة الشرطة المميِّزة، وسيارة مصفحة تقف أمام البوابة تطلق نيرانها بكثافة نحو شاهين ورجاله ليفتح الجحيم أبوابه على مصراعيها.

البداية

- هل هناك أي أخبار جديدة؟

سأل حمدي -والد خديجة- ذلك السؤال، وباسم وإبراهيم يدلفان داخل منزل الأول، وعيناه متعلقة بهما والتلهف يقفز من عينيه اللتين ملأتهما الدموع، بينما امتلأت عينا باسم بالإحباط وهو يهز رأسه نفيًا:

- في الواقع لم نصل لشيء.

جلس ثلاثتهم في صالة المنزل وإبراهيم يقول:

- ذهبنا إلى القسم والمديرية كالمعتاد يا والدي، ولا توجد أخبار عنها في أيهما.

- هل يمكن أن يكون أصابها سوء؟

كانت كلمات حمدي تتقطع بين نحيبه المتواصل، فاقترب منه باسم:

- لا تقل هذا يا عم حمدي، لقد قابلنا ضابطًا بالمديرية يدعى نبيل، وقد أكد لنا أنها بخير، وأن لديه من المعلومات التي ستجعلهم يصلون إليها خلال أيام.

صاح حمدي:

- أيام؟ لن أستطيع أن أصمد بدونها أيامًا، بل لن أستطيع أن أحيا ساعات بدونه!

- لا تقل هذا يا والدي، كلنا معك.

- أنت تعلم يا إبراهيم ما تعنيه أختك لي، لقد كانت الإبنة والزوجة والصديقة، لقد كانت كل شيء بالمنزل.

- وستعود بإذن الله يا عم حمدي.

كفكف حمدي دموعه:

- أرجو هذا، فأنا لن أستطيع الحياة بدونها.

- لن تضطر لذلك يا عم حمدي، ستعود خديجة بين ليلة وضحاها.

لم تكن تلك الليلة ككل الليالي بالأحداث التي بدأت بها، حتى أن شاهين نفسه كان يلهث وهو يقف أمام فؤاد، والأخير يحدق فيه بنظرة باردة جعلته يرتجف من الخوف، وفؤاد ينهض بعدها ويصيح بصوت هادرٍ:

- كيف كانا أمامكم وتركتموهما يهربان؟

رد شاهين بصوت مرتجف:

- قلت لك يا مستر فؤاد، لقد هجمت علينا سيارة مصفحة تابعة للشرطة، وتبادلنا إطلاق النيران معها، وعندما التفتُّ كان مراد والشخص الآخر قد اختفيا، واختفى معهما الفهد، ولم أجد أي فائدة من تأخير أنفسنا أكثر من هذا؛ فانطلقت بالرجال -بعد أن استطعنا أن نصيب إطارات سيارة الشرطة- واختبأنا في مكان آمن حتى الصباح، لنتأكد من أن الشرطة لم تتعقبنا، وأتيت إليك في الصباح عندما شعرت أن الأمور استقرت.

ظلت نظرة الغضب تطل من عينَي فؤاد، بينما اكفهر وجهه وانتفخت أوداجه وهو يحدق بشاهين، لا يكاد أن يصدق أن مراد ومحسن فرَّا من بين أصابعه. ثم دار حول مكتبه ببطء ليجلس على كرسيه المفضل:

- هل رآك مراد؟

تردد شاهين في الإجابة للحظات، فصاح به فؤاد مرة أخرى:

- أرآك أم لا؟

- في الحقيقة لا أدري، لقد حدث كل شيء سريعًا، ولقد سارع هو بالاختباء، ولم أكن نزلت من السيارة بعد، أعتقد أنه لم يتعرف عليّ.

- تمنَّ هذا يا شاهين، فلو تعقبك هذا الحيوان سأقتلك بنفسي .

ثم تناول سماعة الهاتف وهو يقول:

- والآن، ارحل عن وجهي.

بالفعل، تحرك شاهين ليخرج خارج الغرفة، ثم اتصل فؤاد برقم ليأتيه صوت العقيد رفقي مُرحبًا، وإن كان الأول لم ينجح في أن يجعل صوته بنفس المودة، والحدة تظهر في كلماته:

- صدقني، لم أفهم تصرفاتك ليلة أمس أيها العقيد!

- أي تصرفات؟

- أن تطلب مني طلبًا ما ثم ترسل قواتك لتعوقني.

- قواتي؟

- لقد كان الهدف في أيدينا بالتجمع ليلة أمس.

- تقصد أن ما حدث في فيلا دينا حمدي...

ثم صمت العقيد رفقي قليلًا كأنما يترك الفرصة لعقله ليستوعب الأمر، وهو يدرك أن فؤاد لن يبوح بما يدينه عبر الهاتف، وما إن استساغ عقله الموقف حتى هتف:

- صدقني، لم يكن الأمر مقصودًا مستر فؤاد، ولم نكن ندري ما يحدث، لقد كانت قواتنا تجوب المنطقة إثر إخبارية بتعرض شخصية مجتمع للتهديد، عندما سمع الجميع إطلاق النيران بالفيلا. لقد كان الأمر أشبه بالحرب العالمية الثالثة.

- سيادة العقيد، لقد طلبت مني طلبًا محددًا، ولتنفيذ ذلك الطلب يجب أن تبتعد عن طريقي، وذلك في الأغلب يكون لمصلحة المهمة ومصلحة قواتك.

- مستر فؤاد...

أتاه صوت فؤاد مقاطعًا بحدة:

- أتمنى أن يكون كلامي مفهومًا سيادة العقيد، وإلا سيكون اتفاقنا لاغيًا.

- لا، لا مستر فؤاد، طلباتك أوامر، ولكن لي طلب

شخصي؛ هل يمكنك إطلاعي -على الأقل- بمكان تنفيذ اتفاقنا في المرة القادمة لنبتعد عن طريقك؟

- سيطر الصمت للحظات على سماعة الهاتف حتى ظن سيادة العقيد أن مستر فؤاد أنهى المكالمة، إلا أن فؤاد قال:

- سأنظر ما يمكنني إطلاعك عليه.

- ثم أنهى المكالمة. وظل العقيد رفقي للحظات يحدق في فراغ الغرفة، ثم وضع سماعة الهاتف والغضب يملأ ملامحه، ثم رفع سماعة هاتف داخلي وهو يصيح:

- أريد نبيل.

ثم أغلق سماعة الهاتف بعنف وظل ينتظر لدقائق، حتى كانت طَرقات قبضة نبيل تعلو على باب الغرفة ورفقي يسمح له بالدخول، ثم يقول له:

- أريد أن أعرف كيف عرفت بالهجوم على فيلا دينا حمدي.

- لم أعرف سيادة العقيد، لقد اشتكى أحدهم بأنه يشعر بالتهديد، وحركت القوات وكلمت سيادتك قبلها، وكما أتذكر، فلقد سمحت لي!

- أتحاول إقناعي أنك لم تعلم بالهجوم؟

- لا يا سيادة العقيد. ثم أعتقد أن دينا حمدي شكرتك عبر وسائل الإعلام على إنقاذها، أليس كذلك؟

- نعم نبيل.

- أنا لا أفهم سبب غضبك سيادة العقيد.

- لست غاضبًا.

ثم مال بجسده إلى الأمام وهو ينظر مباشرةً نحو عيني نبيل، ويستطرد:

- ولكنني سأكون غاضبًا جدًا إذا علمت أن هناك من يعمل تحت قيادتي ويخفي عني أي معلومة يا نبيل. هل كلامي واضح؟

- واضح سيادة العقيد.

أشار العقيد رفقي بيده لنبيل أنه يمكنه الانصراف، فأدى نبيل التحية العسكرية واستدار منصرفًا، إلا أن رفقي سأله قبل أن يفتح الباب:

- ألم يصل الرائد نادر بعد؟

- نحن في انتظاره سيادة العقيد، قد يصل في أي وقت.

- سأنتظر إخطارًا منك حالما تطأ قدمه أرض المديرية.

- تمام سيادة العقيد.

ثم غادر الغرفة وهو يغلق الباب ويفكر أن العقيد يشك بالاتفاق الذي تم بينه وبين مراد. ورغم أن الضابط بداخل نبيل كان مغرمًا بتتبع الأوامر، إلا أن الإنسان داخل نبيل كان شاكرًا لما فعله مراد له، كما أنه كان يشعر بداخله أن مراد بريء، وأن سعيهم وراءه وتركهم المهاجمين يحمل علامة استفهام كبيرة.

- ظلت تلك الأفكار تراود عقل نبيل وهو يسير بردهة المديرية متذكرًا لقائه ببكر وخديجة؛ خديجة التي كانت في ذلك الوقت تجلس بجانب جسد مراد فاقد الوعي، تضمد جروحه في غرفة بكر البسيطة، بعد أن نجح بالكاد من الهروب من محسن ومن الفخ الذي نصبه له شاهين ورجاله، ليلتقطه بكر وخديجة -اللذان كانا ينتظرانه على مقربة من منزل دينا حمدي- وينتابهما الذعر والهلع الشديدين لحالة مراد الذي ما لبث أن سقط مغشيًا عليه أمامهما.

- لا أفهم يا عم بكر، لما يصر مراد على مواجهة ذلك الوحش وقوات الشرطة؟ لما لا يسلم نفسه ويترك قوات الشرطة تتأكد أنه ليس القاتل؟

- إنه يظن أن قوات الشرطة لن تستطيع التصدي لمحسن. يظن أن محسن يعد شذوذًا للطبيعة، وأن مواجهته واجب عليه كابْنٍ للطبيعة ومحافظٍ عليها.

ألقت خديجة نظرة نحو جروح مراد، ووضعت قالبًا من الثلج على الكدمة الشديدة فوق ضلع مراد المكسور، وهي تتأمل ملامحه.

- أخشى ألا يكون مراد ندًّا له هو الآخر.

جاء الوقت على بكر أن يلقي نظرة على جسد مراد الراقد أمام خديجة بلا حول ولا قوة، ثم يرد:

- هذا الفتى الذي يرقد أمامك استطاع أن يحارب بيديه العاريتين أعتى الوحوش في البرية، إنه لا يخاف ولا يهاب الموت، ويتعلم في كل مرة أسلوب الحيوان الذي يواجهه. لا يتعجل النصر ولا يهمه الوقت. يستطيع لعب دور الصياد، ويلعب أيضًا دور الفريسة، ويبرع في كلاهما؛

يبرع أن يقتنص أشرس الحيوانات ،ويبرع في الهروب من أمكر الصيادين.

- إنه لم يقابل مثل محسن من قبل.

- ربما، ولكنه دائمًا يكون لديه خطة.

رفعت خديجة كمادات الثلج لتضع أخري، ثم شرعت في تطهير جرح بوجهه:

- ألم يذكر لك من قبل سبب الجرح الذي شوه وجهه؟

- إن الوحوش في الغابة عندما تتشاجر مع بعضها لا تكتفي بجرح بعضها البعض؛ بل تنهش بعضها الآخر.

طلت نظرة أسى من عين خديجة وهي تتأمل الندوب التي انتشرت بجسد مراد وشوهت وجهه، ثم تفحصت الجروح التي انتشرت بجسده من أثر المواجهة مع محسن وهي تقول:

- يمكنني تصور ما مر به في البرية، ولا أملك إلا الشفقة عليه .

ثم أخذت نفسًا عميقًا مستطردة:

- سنحتاج المزيد من المطهرات، وربما المضادات الحيوية.

نهض بكر من مكانه وتوجه نحو الباب:

- لا بأس، هناك صيدلية ليست بعيدة عن هنا، سأحضر ما ذكرتيه.

ثم خرج من الباب ليترك خديجة تتفحص هذا الجسد الضخم أمامها؛

الجسد الذي استطاع أن يخطف قلبها. الهمجي العنيف الذي يستطيع أن يقتل بضربة واحدة. الذي يستطيع أن يتعامل مع الحيوانات أفضل من تعامله مع البشر. الذي شوهت الندوب وجهه ولكنها لم تنجح في تكدير صفو فطرته؛ مراد.

ربما كانت -قبل اليوم- تشك في مشاعرها نحوه، ولكنها اليوم تيقنت

عندما سقط قلبها وهي تراه يسقط مغشيًا عليه أمامها. علمت أن هذا القلب لم ولن يحب غير هذا الجسد.

وبأنامل مترددة لمست صدر مراد المفتول، وفجأة تحركت يده لتقبض على ساعدها، وينتفض مراد جالسًا وأنفاسه تتسارع، ثم ما لبث أن أدرك أنه في حجرة بكر، وأن خديجة من تجلس بجانبه، فيترك معصمها وهو يسدل خصلة من شعره أمام نصف وجهه المشوه وهو يقول:

- آسف!

شعرت خديجة بالحرج وهي تتراجع في جلستها:

- لا عليك، ربما كنت تحلم بكابوس.

أومأ مراد برأسه موافقًا، ثم أدار عينيه في جنبات الغرفة، ثم نظر نحو خديجة ففهمت أنه يسألها عن بكر:

- لقد ذهب يشتري مستلزمات طبية.

وضع مراد يده يتحسس ضلعه المكسور وجروح جسده، قبل أن يومئ برأسه مرة أخرى موافقًا ثم يترك جسده ليستريح، معلقًا نظره بسماء الغرفة.

- لقد عانيت الأمرَّين اليوم.

قالتها خديجة محاولة أن تجر أطراف الحديث مع مراد، ولكنه اكتفى بهز رأسه مرة ثالثة دون أن ينظر إليها،

ولكنها لم تيأس وهي تكمل:

- إن محسن هذا ليس بالضعيف، وهزيمته أمر صعب.

وللمرة الرابعة يكتفي مراد بهز رأسه، وخديجة تنظر إليه متلهفة إلى كلمة تخرج من فمه، ولكن هيهات لهذا الحجر أن يتكلم، فصاحت مرة واحدة:

- ألا تشعر أبدًا؟

هنا انعقدا حاجبَي مراد، والتفت إليها في ذهول وفي عينيه نظرة متسائلة، فأكملت خديجة:

- نحن نشعر بالقلق عليك، ونحاول مساعدتك قدر استطاعتنا، وأنت تكتفي بإيماءاتك السخيفة وردودك المقتضبة كأنما لا تأبه! نحن نكترث لك ونخاف عليك، بالله عليك لا تكن هكذا!

قالتها ونزلت دمعتين حارتين من عينيها، وهي تطرق بنظرها نحو الأرض وتضع رأسها بين يديها. هنا نهض مراد من مرقده، واقترب منها بخطوات مرهقة وهو يمسح براحة يده فوق شعرها، ويهمس:

أنا لست جيدًا مع البشر.

رفعت خديجة رأسها وقد فاجأها تصرفه:

- أنت لم تجرب التواصل مع البشر لتعلم أنك جيد أم لا.

- هذا أفضل لي.

- ربما لا.

هز مراد كتفيه غير مبالٍ، ثم اتجه نحو النافذة العالية، ينظر إليها كأنما يتلمس الهواء المفتوح ليفاجأ بسؤال خديجة:

- ما الذي حدث في تلك الغابة؟

استدار مراد صامتًا وهو لا يصدق أن أحدًا ما ما زال يسأله هذا السؤال، فاستطردت:

- أنت لم تخبر أحدًا بما حدث.

هز مراد رأسه نفيًا.

- هذه المرة أنا أسألك، ما الذي حدث؟ شخص يهتم بك وليس شخصًا يتحرى عنك.

ظل مراد لثوانٍ يحدق في عينَي خديجة، ولكنه قرر

فجأة أن يزيح الثقل عن كاهله، وخصوصًا إحساسه أن خديجة يمكن الوثوق بها.

- كنت في طائرة خاصة أرسلها لنا شخص ثريّ لنقدم عرضًا ما في إفريقيا، وكنت أجلس مع والدي، ما زلت أذكر ذلك اليوم -يوم ما تحطمت الطائرة- كنت أجلس معه يعطيني النصائح؛ كيف أتعامل مع الحيوانات. وعندها بدأت الطائرة تهتز بعنف، وأدركنا مع فريق السيرك وطاقم الطائرة أنها ستتحطم لا محالة، ولكن والدي خطرت له فكرة غريبة؛ وضعني داخل قفص يحتوي على شبل أسد، ووضع معي قارب مطاطي مطوي داخل حقيبته، وربط القفص بمظلة وألقانا من الطائرة، وسحبتُ مقبض المظلة، وقبل التحطم فتحت القارب ونجحت خطة والدي. امتصت المظلة والقفص والقارب الصدمة، ونجوت مع الشبل وأنا أرى الطائرة تتحول لشظية مشتعلة بالسماء، وأرى معها حياتي تتحطم وأنا طفل صغير.

ثم جلس مراد على طرف الأريكة العتيقة وهو يأخذ أنفاسه قبل أن يستطرد:

- وجدت نفسي وحيدًا مع شبل في قلب غابة، ظللنا

يومين نبحث عن غذاء. أكلت أوراق الأشجار، ولكنه كان بحاجة للحوم، ولكن بدلًا من أن نصطاد وجدنا نفسينا فريسة لقطيع من الظباء، ولكنني وقفت أمامهم، لم أقبل أن أكون فريسة سهلة، ولم أقبل أن أترك صديقي الوحيد. قاتلت يومها وأنا أدرك أنني سأموت شجاعًا كوالدي، وبدأت الظباء في نهشنا، ولكنني فوجئت بقطيع آخر من الأسود التي أتت تدافع عن فرد منهم، واستطاعت تخليصنا، ووجدت نفسي فردًا منهم.

ثم ابتسم مراد ابتسامة واسعة وقال:

- تخيلي أن مجموعة من الأسود حفظت لي جميل أنني أنقذت طفلها، وبعض البشر لا! تعاملي مع حيوانات السيرك نزع الخوف من قلبي -وأنا أتعامل مع الأسود- فوجدت نفسي ألعب معهم، وأصطاد معهم، وأقاتل معهم. في البداية كنت ضعيفًا بطيئًا، ولكنني تعلمت، وأصبحت أسدًا وسط الأسود.

هنا فتح بكر الباب ليجد أمامه مراد يجلس على الأريكة وخديجة قبالته، فهتف بفرحة:

- لقد عدت، حمدًا لله على سلامتك.

- عـاد مـراد ليبتسـم ويومـئ برأسـه، بينمـا جلسـت خديجـة صامتـة، فنظـر لهـا بكـر:

- هل فاتني شيء ما؟

أتاه الرد عن طريق مراد هذه المرة:

- لا، ليس شيئًا مهمًّـا، ولكـن جـاء الوقـت لأن نضـع حـدًّا لمـا يحـدث.

ثم نهض من مجلسه وهو يقول:

- يجـب أن يعلـم الجميـع أن هنـاك أسـدًا واحـدًا في المنطقـة.

ثم أطلق زئيرًا صغيرًا وهو يستطرد:

- وهذا الأسد يدعى مراد.

وشـعرت خديجـة بقشـعريرة تسـري في أطرافهـا، لأنهـا لـم تعـد تـرى مـراد أمامهـا؛ لقـد رأت أسـدًا يـكاد أن يطبـق علـى ضحيتـه.

الحلم

كل من عرف مستر فؤاد أدرك أنه ليس كطبيعته ذلك اليوم وهو يجوب طرقات قصره وخباياه، ويسب ويلعن بأقذر الشتائم، ويصيح بكل من يلقي به حظه العاثر في طريقه.

فؤاد الذي لم يعرف الخوف بحياته، بدا مضطربًا ومتوترًا إلى أقصى حد، حتى أنه طلب من شاهين تأمين القصر كله، بكل رجاله الذين يعملون في القاهرة. ورغم احتشاد العشرات بأسلحة مدججة، إلا أن فؤاد نفسه لم يغمض له جفن منذ لحظة فشل اغتيال الوَحشين، ولم يستطع حتى أن ينظر في وجه شاهين، فطلب منه أن يظل مع القوات في الخارج.

وبعد جولة قضاها في جنبات القصر، دخل فؤاد مكتبه لينظر إلى قواته عبر النافذة الزجاجية، ثم أغلق الستائر وصب لنفسه كوبًا من الخمر الفاخر، وأشعل سيجارًا ليجلس على منضدة صغيرة في مكتبه، ويحتسي رشفة من كوبه الصغير ثم يتنفس دخان سيجارته، وأراح رأسه إلى الخلف.

- لقد ارتكبت ثلاثة أخطاء.

دوى صوت مراد عميقًا داخل الغرفة المغلقة من أحد الأركان المظلمة، وشعر فؤاد بالدماء تتجمد في عروقه، ويده تتيبَّس فوق كوب الخمر، وصدره نفسه لم يقدر أن ينفث دخان سيجارته، حتى احتقن وجهه وأخذ يسعل بعنف، وصوت مراد العميق يكمل وهو يخطو بهدوء خارج حدود الظلام:

- أول خطأ أنك قررت قتلي.

ظلت خطوات مراد الرتيبة تصنع صدى فوق قلب فؤاد، ومراد يلتف أمامه مستطردًا:

- ثاني خطأ أنك لم تكمل المهمة وتتخلص مني.

ثم جلس أمام فؤاد واضعًا قدمًا على قدمٍ، ثم ثبت كتمثال الشمع، حتى أن فؤاد أصابه الهلع وهو يترقب قبل أن يسأل:

- هل ستخبرني الخطأ الثالث أم ستقتلني مباشرة؟

ابتسم مراد:

- خطؤك الثالث أنك أغلقت علينا تلك الغرفة وأسدلت ستائرها. ولكن لا تخف، لن أقتلك.

اتسعت عينا فؤاد دهشة امتزجت بملامح فرحة على وجهه في مزيج غريب:

- لن تقتلني؟

- لا.

- ما الذي تخطط له يا مراد؟

- أنت لست هدفًا لي مستر فؤاد. منظمتك أو عصابتك -أو أيًّا ما تدعوها- ليست أحد أهدافي. وأنا مؤمن تمام الإيمان أنني إذا قضيت عليك سيأتي غيرك ليقوم بمهمتك. أنت لست رأس الأفعى، بل أنت مجرد قطعة في أُحجية كبيرة؛ أكبر من أن تملكها. أحجية عالمية أكبر من أي دولة أو كيان اقتصادي، تسيِّر الدول وتصطنع الأزمات وتُغير الحكومات.

ابتلع فؤاد كأس الخمر خاصته جرعة واحدة، ثم أخذ نفسًا من سيجاره وهو يحاول هضم كلام مراد:

- ما الذي تريده مني يا مراد؟

أنـزل مـراد سـاقه مـن فـوق الأخـرى، ومـال بجسـده إلـى الأمـام ليحـدق مباشـرة في عينَـي فـؤاد:

- أريـدك خـارج تلـك اللعبـة مؤقتًـا يـا مسـتر فـؤاد، الموضـوع أيضًـا خـارج عـن سـيطرتك. الطبيعـة لـن تسـمح بوجـود مسـخين على ظهرهـا، يجـب أن يختفي أحدنـا، وأود أن أحصـل علـى وعـد منـك.

- أي وعد؟

نهض مراد من كرسيه وهو يتجه نحو الركن المظلم:

- إذا كان مقـدرًا لـي أن أرحـل، فأريـد وعـدًا صريحًـا منـك أن تسـخر رجالـك وأسـلحتك للقضـاء علـى ذلـك الوحـش.

- مواجهته لن تكون سهلة دونك.

- هـذا الوحـش لـن يكـون وبـالًا علـى القاهـرة فقـط، سيكـون وبـالًا علـى العالـم، وسـيطلق حملـة مسـعورة لشـيء قبيـح، ولـن يسـتطيع أحـد ردعـه بعـد ذلـك. فرصتـي هـي الليلـة، فـإذا لـم يأتـك هاتـف مني صباحًـا؛ أطلـق كل مـا في جعبتـك خلـف ذلـك الوحـش.

قالهـا مـراد ودخـل بجسـده داخـل ظـلام الركن فسـأله فؤاد:

- ألن تحتاج أحدًا من رجالي أو أسلحتي معك الليلة؟

ولكن كان الصمت هو كل ما حصل عليه، فأدار فؤاد رأسه في جنبات الغرفة ليفاجأ بأنه وحده!

- مستر فؤاد، مستر فؤاد!

وقف شاهين أمام فؤاد وهو يجلس على كرسيه وكوب الخمر في يده:

- ما الذي حدث للتو؟

- لقد غفلت على هذا الكرسي.

اتسعت عينا فؤاد دهشة:

- أتقصد أن مراد لم يأتِ إلى هنا!

- مستحيل مستر فؤاد، هناك ما يربو على مائة مسلح بالخارج، ولا يوجد شبر في القصر خارج المراقبة -إلا مكتبك كما أمرت- ولا يستطيع مخلوق أن يصل إليك دون أن نراه.

التقيا حاجبَي فؤاد وهو ينظر نحو كوب الخمر الممتلئ في يده متمتمًا:

- أيعقل أن يكون هذا حلمًا؟

لم يسمع شاهين ما قاله فؤاد فتساءل:

- هل أنت بخير يا مستر فؤاد؟

أخذ فؤاد جرعة من كأسه:

- نعم يا شاهين، أنا بخير.

- أتود شيئًا آخر بخصوص تأمين القصر؟

هز فؤاد رأسه نفيًا وقال:

- لا، هذا يكفي.

تنحنح شاهين قبل أن يسأل متخوفًا:

- أتود شيئًا مني بخصوص مراد؟

أخذ فؤاد يبحث في رأسه عن إجابة منطقية قبل أن يقول:

- لا يا شاهين، حدسي ينبؤني أننا لن نجد مشاكل من مراد مرة أخرى.

قالها وهو يبحث في كل خلية في عقله عن جواب منطقي

لحدسه هذا، أو تفسيرٍ لما حدث قبل قليل، وهو يحدق في الركن المظلم الذي ظهر واختفى منه مراد، ويكاد يجن؛ هل ما حدث كان حقيقةً أم حلمًا؟

- أتراه يحلم يا عم بكر؟

كانت خديجة تراقب مراد وهو مستلقٍ أمامها وأمام بكر في سُبات عميق.

- يا أستاذة، هو بشر، يأكل كما نأكل وينام كما ننام، ويحلم مثلنا جميعًا.

إلا أن ابتسامة ظهرت على فم مراد وهو ينهض ليهندم ملابسه، ويضع سترة البدلة عليه وهو ينظر نحو خديجة:

- كما قال لك بكر، أنا بشر.

ثم فتح باب الغرفة وهو يشير لها بيديه، بحركة مهذبة وابتسامة ساحرة ترتسم على نصف وجهه الوسيم:

- والآن، اسمحي للبشري أن يدعوك للعشاء.

كادت خديجة أن تقفز فرحًا وتتعلق في رقبته، إلا أنها نظرت نحو بكر كما لو أنها تستشيره، فقال بكر:

- هيا يا أستاذة، هذا العرض لن تحصلي عليه إلا مرةً بالعمر.

- ألن تأتي معنا؟

جاءت الإجابة عن طريق مراد:

- بكر لديه مهمة هذه الليلة.

كانت مشاعر السعادة ترفرف على قلب خديجة، وهي تطوي معه جنبات شوارع القاهرة وضواحيها، بعد أن استأجر مراد دراجةً بخاريةً ليداري وجهه بخوذتها، بينما امتطت خديجة خلفه مستمتعة بالهواء العليل الذي يضرب وجهه، وبصحبة صامتة معظم الوقت تطوف بها الأحياء، حتى أنه مر بها أمام السيرك ثم أكمل مسيرته حتى وصل إلى كورنيش النيل، ليترجل معها نحو أحد الأركان الهادئة.

- هل تحاول إخباري بشيء يا مراد؟

- لا.

- إنني أبحث عن تفسير لخروجنا اليوم بعد معركة كدت أن تلقى بها حتفك!

- ربما كنت أبحث عن طريقة أنفث بها غضبي.

- ليس أنت يا مراد، ربما أحدٌ غيرك يفعل هذا، ولكن ليس أنت.

- لماذا ليس أنا؟

- أنت مختلف. ربما كنت لتزأر بأعلى بقعة بالمقطم، وربما كنت لتكسر شيئًا أو تغلق على نفسك الغرفة لتزمجر. ولكن لن تخرج معي لتتجول في شوارع القاهرة.

ظل مراد يحدق بعينيها بنظرة متعجبة، كأنه لا يصدق أن أحدًا ما وصل لأن يفهمه بهذه الطريقة.

هل بالفعل يشعر تجاهها بشيء؟

هل الحاجز بينه وبين عالم البشر نجحت شابة في كسره؟

- بمَ تفكر؟

- أنتِ أول من أخرج معه، أتعرفين هذا؟

- أهذا شيءٌ جيد أم سيِّئ؟

- لا أعرف.

ثم أشاح بوجهه نحو النيل وهو يسأل:

- هل يمكنني أن أسألك عن حياتك؟

- لا يوجد في حياتي سر لا يمكنني إطلاعك عليه، فأنا مدرِّسة تربيت مع أبي، ولديَّ أخ، أمَّا والدتي...

قاطعها مراد متسائلًا:

- من الذي صحبك ذلك اليوم في السيرك؟

ابتسمت خديجة:

- إنه أحد أصدقاء والدي، ولقد تقدم لخطبتي.

- خطيبك؟

- ليس بعد، ولكن هذا كان قبل أن أقابلك.

التفت إليها مراد:

- لا أفهم، ما الذي تغير.

- الذي تغير أنني وجدت فيك كل ما كنت أحلم به.

- هذا ليس صائبًا يا خديجة، أنا لا أصلح لك، لا أصلح لأي بشرية.

- وماذا تكون أنت، ألست بشريًّا؟

- لقد تربيت مع حيوانات الغابة.

- وماذا في ذلك؟

عاد مراد ليشيح بوجهه مرة أخرى نحو النهر، ولكن خديجة التفتت لتقف حائلًا أمامه:

- أنت تشعر بشيء تجاهي، أليس كذلك؟ لا تنكر.

- ربما، ولكن...

- لا يوجد لكن، إحساسي هذا وعواطفي لم أعطها لأحدٍ في حياتي.

- أنتِ لا تفهمين، هناك في حياتي ما أقوم به ولن يستطيع أحد أن يتقبله.

- مثل ماذا؟

وقف مراد ينظر إليها صامتًا للحظات، كأنما يتردد بإخبارها شيئًا ما.

- مثل أنني يمكن أن أموت أو أقتل اليوم عند مواجهتي محسن .

- لا، أعلم أنك ستتخطى الأمر، ثم إنك ستعدني أن تعود إليَّ، أليس كذلك؟

لم يحرك مراد ساكنًا وهو يحدق بعينيها وأنفاسه تتسارع، فقالت خديجة:

- ستعدني، أليس كذلك؟

- خديجة أنتِ...

قاطعته خديجة:

- أحبك.

- ماذا؟

- قلت إنني أحبك، وأنت ستعدني أن تعود إليَّ سالمًا.

خطا مراد ليتخطاها ويقف وراءها ينظر إلى النهر:

- لقد سألتيني عن سر خروجنا اليوم؛ في الحقيقة إنني أُعيدُكِ إلى منزلك.

- ماذا؟

- إن بكر ينقل أشياءنا إلى مكان آخر في هذه الأثناء.

- لماذا؟

- مواجهتي لمحسن اليوم يمكن أن تنتهي بمقتلي أو مقتله. في الحالة الأولى، يجب أن أضمن سلامتكما، وفي الحالة الثانية سأعلم كيف أصل إليكما.

- ستعود إليَّ، أليس كذلك؟

- لن يكون الأمر سهلًا.

- سأنتظرك.

صمت مراد قليلًا قبل أن يتوجه إلى درَّاجته ويقول:

- لقد حان الوقت لتعودي إلى المنزل.

وبلا كلمة إضافية ركب مراد درَّاجته وتبعته خديجة، وقطعت الدرَّاجة الطريق بسرعة -والصمت يغلف ركابها من كل جانب- حتى وصلت بالقرب من منزلها، فأنزلها مراد والدموع تغرق عينيها.

- مراد، سأنتظرك. ستعود إليَّ، أليس كذلك؟

- إلى اللقاء يا خديجة.

وانطلق مراد بدراجته مبتعدًا تاركًا نهرًا من الدموع

والمشاعر يحبو بخطوات واهنة نحو بيته. نهرٌ قوبل بشلال من اللهفة والشوق، مع سيل من الحنين والأحضان اكتنفت أي مشاعر حزن غلفت قلبها الضعيف.

لم يتركها والدها وأخيها تجلس بمفردها ولو لثانية واحدة، والدموع لا تتوقف للحظة واحدة من الانهمار من أعين والدها حمدي. حتى عندما جاء باسم إلى المنزل ليطمئن على أحوال الأسرة. ورغم فرحته الكبيرة لروجعها ودهشته الشديدة عندما وجدها أمامه، إلا أن خديجة لم تستطع أن تقاوم مشاعرها، أو أن تظهر ودًّا زائفًا رغم شعورها بالامتنان لوقوفه بجانب أسرتها في غيابها، وفضَّلت الانسحاب إلى غرفتها لتحتضن وسادتها وتبدأ شكوى صامتة إليها، مصحوبة بدموعٍ حارة وهي لا تدري أحقًا سيعود إليها مَن ملك قلبها، أمْ ستعيش بقية حياتها في ذكرى أيام قليلة احتوتها غرفة مغلقة مع رجل حكيم؛ سمحت لها تلك الأيام بمراقبة حبيبها عن قرب لتعرف أن ما وراء الوجه المشوه شاب وسيم شهم، ضحَّى بسمعته وبطبيعة حياته كي يحمي طبيعة بشرية اعتبرته عدوًّا لها، ليس لشيء إلا لأنه مختلف عنهم.

شـاب وقـف -في نفـس الوقـت- علـى أعلـى منطقـة بالمقطـم يراقـب الجبـل مـن تحتـه، ويترقـب مكالمـة من بكر.

مـراد الـذي ظـل يحـارب مشـاعر تتأجـج بداخلـه نحو أنثى يتمناهـا قلبـه، ويرفـض عقلـه فكـرة الارتبـاط بهـا، ليـس لشـيء إلا لأنهـا سـتعيده إلـى عالـم البشـر.

العالـم المـادي الـذي نجـح مـراد بامتيـاز أن يظـل علـى حافتـه دون أن تتلطـخ روحـه بقذاراتـه، أو أن ينغمـس قلبـه في حـب الدنيـا وزينتهـا التـي يعيشـها أقرانـه ممـن هـم في مثـل عمـره.

خديجـة التـي اسـتطاعت أن تمـسَّ قلبـه وتهيمـن عليـه، وتجعلـه يعيـد النظـر في كل مـا كان يتمنـاه مـن الدنيـا.

وبينما هو في عالمه الخاص، إذ بمكالمة بكر تصل إليه:

- نعم، بكر.

- لقـد بـدأ جهـاز التتبـع الـذي حصلنـا عليـه مـن نبيـل في العمـل.

- لقـد اسـتطعت دسَّ الجهـاز في الجِـوال -الـذي كان يحمـل الفهـد- بصعوبـة، عندمـا غفـل عنـه محسـن.

- لـم تكـن تلـك المواجهـة -يـا مـراد- إلا فخًّـا لنعلـم مخبـأه.

- بالضبط، هـذا الوحش لا يمكـن اقتناصـه إلا عنـد نومـه، ولكـن أن ننتظـر أن يهجـم ونتصـدى لـه سـيكون مسـتحيلًا.

- إنه يختبئ في مكان غير بعيد عنك بالمقطم.

- حسنًا، سأذهب إليه.

- سأعطيك المكان بالتقريب.

وبالفعـل حصـل مـراد علـى الدائـرة التـي يقـع بقطرهـا مـكان المخـزن، فأغلـق الهاتـف مـع بكـر ولكنـه اتصـل بنبيـل مباشـرة:

- هل أكلم الرائد نبيل؟

- نعم، هو بنفسه.

- معك مراد.

سـكت نبيـل للحظـات -كأنمـا يراجـع نفسـه أو يتأكـد أن مـا سـمعه صحيحًـا- ثـم هتـف:

- أخيرًا.

- نعم أخيرًا، ولكن ليس هناك الكثير من الوقت.

- ماذا تريد؟

- أعلم أنك تحصل على قراءة من جهاز التتبع الذي أعطيتنا إياه.

- بالطبع، فأنا أملك تردده.

- جيد، أريد شيئين منك، أولهما: أن تعطيني العنوان بالضبط ومن يملكه، وهل ستكون هناك قوة تنتظرني أم لا؟

- وثانيهما: أريدك أن تؤجل الهجوم بعد أن أخابرك بعشر دقائق، ثم اضرب بكل ما تملك من قوة.

- هل ستكون هناك؟

- لا تقلق سيادة الرائد، الليلة ستحصلون على مبتغاكم.

الليلة ستحصلون على من تُعِدُّونه عدو الشعب ووحش الإنسانية؛ سأسلمكم القاتل.

الآلة

- متأكد من هذه المعلومات يا نبيل؟

- نعم سيادة العقيد. سيكون مراد متواجدًا في هذا المخزن بالمقطم.

- وقف العقيد رفقي ينظر بشك نحو نبيل:

- أريد أن أعلم من أين تأتي بمعلوماتك؟

- الموضوع بسيط سيادة المقدم، لقد ترك أحدهم رسالة بأنه سمع صوت حيوانات بينما كان يمر في تلك المنطقة المهجورة، وعندما حاول أن يتحقق من الأمر شاهد مراد يتحرك أمامه بينما هو مختبئ.

- من هذا الرجل؟

- لم يفصح عن نفسه بالرسالة، سيادة العقيد.

- وهل تجد هذا منطقيًّا؟

أجاب نبيل بكل ثقة:

- بالطبع، سيادة العقيد.

- كيف هذا؟

- يبدو أن أحدهم قاده سوء حظه أن يكون شاهدًا على مراد، وخشي من بطشه أو من ضياع وقته في أروقة الأمن، فقرر أن يترك رسالة يريح بها ضميره ولا تضعه في تلك المعضلة.

طالت نظرة السكوت من العقيد رفقي مصحوبة بشك عميق، مما دفع نبيل أن يتساءل:

- لماذا تنظر إليَّ بتلك الطريقة يا سيادة العقيد؟

- مصادرك أصبحت مريبة، وكذلك تصرفاتك.

- إذا كنت تشك في...

قاطعه رفقي:

- لا داعٍ لهذا الحديث الآن، ماذا تقترح؟

- لا يمكن الاستهانة بذلك الوحش، فلنأخذ فريق المهمات الخاصة.

- ماذا عن الرائد نادر؟

- ماذا عنه يا سيادة العقيد؟

- ألم يصل بعد؟

- لا، ولكننا نتوقع وصوله بين لحظة وأخرى.

- لا بأس يا نبيل، هي لك إذَن. ستقود فريق العمليات بالمديرية لمهاجمة ذلك الهمجي، فإذا ما تأكدت من وجوده بالمخزن فدُكُّوا ذلك المخزن فوق رأسه، شرط أن تأتوني بجثمانه.

- عُلِم وينفذ، سيادة العقيد.

وغادر نبيل الغرفة وهو يتمنى من قلبه ألا يضطر أن يدُكَّ هذا المخزن، لأن هذا لا يعني له سوى أنه يقتل شخصًا آمَن ببراءته، شخصًا يدعى مراد.

لم تكن هذه المعادلة في حسابات رفقي وهو يجري اتصاله بمستر فؤاد:

- مستر فؤاد، كيف حالك؟

- بخير حال، سيادة العقيد.

- الموضوع الذي كنت حادثتك عنه منذ أيام؛ أعتقد أننا استطعنا أن نحدد مكانه، وعرضنا ما زال ساريًا.

- لا، سيادة العقيد. كان هذا العرض لمرة واحدة.

ظهرت علامات الامتعاض على وجه رفقي وهو يصيح:

- ما الذي تقصده يا مستر فؤاد؟

- أقصد أنني كنت أود خدمتك، ولكن هذه المرة لن يكون الأمر سهلًا.

- سأؤجل هجوم قواتي قليلًا حتى...

قاطعه فؤاد:

- هذا الأمر لا يناسبني سيادة العقيد.

- صاح رفقي بغضب:

- كيف تستطيع أن ترفض طلبًا مني؟

- لا تغضب هكذا -سيادة العقيد- ولا تتخيل أنك تستطيع حتى الاقتراب من نفوذي. كل ما هنالك أن اللعبة أصبحت غير مناسبة لقواعدي، فقررت أن أتجاوزها، وسيسرني العمل معك المرة القادمة.

وبلا أي مقدمات أنهى فؤاد المحادثة، ليترك رفقي

يستشيط غضبًا بعد أن فشلت خطته الثانية للقضاء على مراد، إلا أن بعد فترة من الزمان علم رفقي أن غضبه ليس هذا وقته ولا محله، ففريقه القانوني مستعد للإطاحة بذلك الحيوان الذي يريده، وبلا أي شبهة، فقرر أن يقود الفريق عبر اللاسلكي من المديرية بنفسه، بينما أخذ فريق نبيل يقترب من المخزن رويدًا رويدًا، حتى بعد أن ظهرت نمرة مراد على هاتف نبيل وهو يتابع اصطفاف قواته حول المخزن، بينما كان مراد يتسلل إليه خلف ستار الظلام من أحد جوانبه.

كان المخزن عاليًا غارقًا في الظلمات، إلا من ضوء ضعيف ينبع من مصباحٍ قديمٍ متسخٍ تدلى من السقف المرتفع جدًا للمخزن، حيث نجح مراد من اعتلاء أحد النوافذ المرتفعة، وقبع دقائق يتفقد المكان بنظره وهو يتأمل الحيوانات التي صمتت وهي تتأمله بدورها، حتى اطمأن أن المكان نفسه خالٍ، وأن محسن غير متواجد، فهبط من النافذة العالية بسلاسة على قدميه، وأخذ يتجول في المكان وهو ينظر بين الحين والآخر نحو أحد الحيوانات، ويعطي إيماءة ما، والغريب أن الحيوان نفسه

كان يستجيب بحركة أو صوت، أو حتى يمكن أن تتخيل أن الحيوان يضحك. أخذ مراد يتجول بين أوراق محسن المتناثرة على منضدة مختفية بالمخزن وهو يقلب بين صفحاتها ويتأملها في هدوء، ثم ينظر نحو الآلة الضخمة التي وقفت بمنتصف المخزن، وينظر نحو أسلاكها، والحيوانات لا تكف عن الإيماءات والأصوات الغريبة كأنما تتناقش مع مراد، وهو يقترب من الآلة ثم يعود لينظر في الأوراق فوق المنضدة، ثم وقف أمام الآلة كأنما يحاول أن يفهم ماهية عملها، وظل هكذا لمدة دقائق.

- ماذا يمكن أن يحدث؟

تمتم بذلك مراد ثم ذهب نحو قفص الشبل ليحطم قفله ويرفعه بهدوء وهو يحضنه، حتى فتح الباب الأول للآلة ثم وضع به الشبل. وبنفس الهدوء توجه مراد نحو قفصٍ صغير الغوريلا ليحمله بلطف ثم يضعه بالباب الآخر. ثم عاد ليقف أمام لوحة المفاتيح ليتأملها حتى رأى يدًا للتحكم فأنزلها، ثم نظر نحو الآلة فإذا بها ساكنة، لم يحدث شيء.

امتعض وجه مراد وانقبضت أساريره، ولكنه -وسط كل

هـذا- انتبـه لضحكـة تصـدر مـن سـقف المخـزن، ومحسـن نفسـه يهبـط علـى قدميـه خلفـه.

في البدايـة اسـتنفر مـراد كل قوتـه، إلا أن ضحكـة محسـن المتواصلـة جعلتـه يريـح عضلاتـه قليـلًا، ومحسـن يقـول:

- الموضوع معقد قليلًا عما تتخيل يا مراد.

ثـم اقـترب محسـن مـن لوحـة المفاتيـح، فتراجـع مـراد ببـطء متحفـزًا وهـو يسـمح لمحسـن أن يقـف أمامهـا وهـو يكمـل:

- يجـب أن تبـدأ بالضغـط علـى هـذا الـزر ليبـدأ الليـزر بالعمـل، ثـم تحـول كل الطاقـة عـن طريـق هـذا المحـول.

هنـا أضـاءت الآلـة كلهـا وبـدت أنهـا علـى أهبـة العمـل. ثـم أشـار محسـن نحـو الرافعـة التـي أنزلهـا مـراد في البدايـة قائـلا:

- وفي النهاية، تنزل هذه اليد.

ثـم اسـتدار محسـن نحـو مـراد والابتسـامة مرسـومة علـى وجهـه الـذي غطـى معظمـه الشـعر وظهـرت الأسـنان مـن بيـن شـفتيه.

- ولكنني لن أفعل هذا لهذين الحيوانين، لأنك ستعطي قدرات الأسد لغوريلا، فهذا لن يصبح جيدًا، أليس كذلك؟

ظل محسن يحوم حول مراد، ومراد يتراجع متحفزًا للقتال، بينما الابتسامة لا تفارق وجه محسن وهو يستطرد:

- في البداية، ترددت كثيرًا من تجربة الآلة والشعاع على نفسي، ولكنني بعد أن استطعت سرقة صغير الغوريلا خاصتكم شعرت بقوة غريبة تسري في أوصالي، وقدرة على القفز والتعلق بالأشياء، فقررت الحصول على الأسد، حتى قابلتك في السيرك.

ثم ازدادت ابتسامته وهو يقول:

- في الحقيقة، ظننت أنني الأقوى وأنني أستطيع هدم جدار بيديَّ العاريتين، لكن عندما التقت قبضتانا عرفت أنك مختلف، مختلف بقدر لا يصدق. قدراتك ليست بقدرات بشريّ عاش بين الحيوانات؛ هناك شيء آخر.

ثم بدأ محسن يقترب من مراد وهو يحدق بعينيه:

- المعضلة أنك تتخيل أنك أذكى مني، وأمهر مني،

وتخيلتَ أنك تنصب لي فخًا في حين أنني مَن كان ينصبه لك. عندما قابلتك بفيلا الممثلة دينا حمدي شعرت بأن ظهور هذا الحيوان ثم ظهورك لم يكن صدفة أبدًا، ثم فكرت أنك ربما كنت تريد قتلي، ولكنني عندما وجدت قوات تاجر الحيوانات هذا ثم قوات الشرطة أدركت أنك كنت تجهز خطة ما للهرب، ولم أعلم كيف فعلتها، ولكنني أدركت أنك كنت تريدني أن أسرق هذا الفهد، ففحصت كل شبر به وبجرابه فوجدت جهاز التتبع.

حقيقةً كان يمكنني أن أبطل هذا الجهاز ولكن لقاؤك هو هدفي، فراقبتك من مكان مظلم مرتفع بالمخزن، ورأيت كيف تتواصل مع الحيوانات، ولكنني لاحظت أيضًا أنك تستطيع قراءة معادلات فيزيائية معقدة! والسؤال هو: كيف يستطيع شخص مثلك أن يفعل هذا؟

ثم وقف أمام مراد مباشرة وهو يحدق في عينيه بتحدٍ:

- الآن وأنا أملك قوة الأسد وعنفوان الغوريلا، وسرعة الفهد وانقضاضة الكوبرا وذكاء الثعلب، أقول لك الآتي: لقد قلت لي من قبل أنك تشعر بشيء داخلي، ووصفته بالقبيح، والآن أنا أقول أنني أشعر بشيء بداخلك أيضًا،

ولا أعلـم كنهـه، ولكـن حتـى في قتالـك أنـت لا تسـتخدمه بالقـدر الـكافي، تسـتخدم فقـط مـا يبقيـك علـى قيـد الحيـاة، ولا أعلـم لمـاذا، ولكننـي أريـد مـا تملـك، أريـد أن أحصـل علـى مـا بداخلـك، أريـد أن أضعـك بتلـك الآلـة.

اتسعت عينا مراد وهو يهتف:

- أنت مجنون.

ولكـن محسـن لـم يمهـل مـراد ثانيـة واحـدة؛ انقـض فجـأة ليطيـح بمـراد ثلاثـة أمتـار إلـى الخلـف، ثـم قفـز فوقـه ولكـن مـراد أدار نفسـه هـذه المـرة ليهـرب مـن بيـن يـدي محسـن إلـى الخلـف، ولكـن محسـن رفـع منضـدة بيـده ليطيـح بهـا في صـدر مـراد، ثـم انقـض بعدهـا ليرفعـه عاليًـا ويصـدم رأسـه بالحائـط.

- وفي لحظـةٍ غامـت الدنيـا أمـام عينَـي مـراد، حتـى أنـه شـعر بـآلام سـاقه كوخـزٍ صغيـر، ومخالـب محسـن تنغـرس بهـا، ومحسـن يجـر جسـده خلفـه -كالدميـة الصغيـرة- وهـو يخـرج الغوريـلا مـن غرفتهـا ويضـع مـراد بهـا، ومـراد يترنـح محـاولًا أن يسـتجمع شـتات عقلـه، ومحسـن يتمتـم:

- والآن، كل ما عليَّ أن أعكس التيار ليحول ما بداخلك إليَّ.

في هذه اللحظة وقف مراد داخل الآلة ثم قهقه بشدة، مما جعل محسن يستدير نحوه منقبض الأسارير وهو لا يدري ما الذي يضحكه، ومحسن قاب قوسين أو أدنى من أن يحصل على مبتغاه، إلا أن مراد قال له عبر الجدار الزجاجي للآلة:

- في الحقيقة أنك كنت محقًا من جهة ما.

ثم نظر فوق كتف محسن قائلا:

- إنني أستطيع التخاطر مع الحيوانات.

التفت محسن إلى حيث ينظر مراد فوق كتفه، فإذا بصغير الغوريلا يقف أمام الرافعة اليدوية للآلة ليهبط بها، فانطلق ضوء ضخم داخل غرفتَي مراد والأسد، ثم خفت هذا الضوء، والدخان الكثيف يملأ الغرفتين الزجاجيتين للآلة.

ظل محسن يحدق داخل غرفة مراد، ولكن الأخير كسر الزجاج مرة واحدة بجسده العاري المفتول، الذي تملؤه الندوب. ثم وقف أمام محسن وهو يقول:

- لديك كل الحق، من الجيد أن تملك قوة الأسد، ولكن قبلها يجب أن يكون لديك قلبه وأنت لا تملكه.

هجم محسن على مراد، إلا أن الأخير استقبل رقبته في راحته وهو يضغط بمخالبه على عنقه ويستطرد:

- المشكلة أنك ملأت جسدك بجينات متعددة لحيوانات ضارية تشتهي الدم، فأصبحت تتوق لمذاقه، وهذا ما جعل منك حيوانًا بشريًّا مجنونًا.

ثم ألقاه مراد على طول يده وهو يقفز فوقه ليمتطي جسده الملقى على الأرض، وهو يقول:

- أتعلم لِمَ يُدعى الأسد بملك الغابة؟ لأنه أضخم وأقوى آكلي اللحوم، ولا يستطيع أحدهم هزيمته.

ثم غرس مخالبه في عنقه حتى تدفقت الدماء منها كالشلال.

- لقد قتلت وتعديت، والآن أسمح لك باسم الطبيعة أن تغادرها.

سكن جسد محسن بعد قليل من الوقت، ومراد نفسه يلهث خلفه وهو يعلم أن نبيل رأى الضوء ويستعد للهجوم.

وبسرعة تناول مراد جالونًا من الكِيروسين -كان قد لمحه بأحد أركان المخزن- وأخذ يسقي به الأوراق

والجهـاز وهـو يتمتـم:

– هذا الجهاز يجب أن يختفي.

وفي نفس هـذا التوقيت كان نبيل بالفعل يستعد مع قواته لاقتحـام المخـزن، إلا أن صـوت العقيـد رفقـي دوى عـبر أجهـزة اللاسـلكي:

– أوقـف الهجـوم، أوقـف الهجـوم، الرائـد نـادر سـوف يقتحـم المخـزن بمفـرده.

تبـادل أفـراد الفرقـة الخاصـة النظـرات فيمـا بينهـم، فيمـا تمتـم نبيـل:

لقد وصل، كنت أود إنقاذ مراد، ولكن فات الأوان.

اقتربـت سـيارة مـن بعيـد بأضوائهـا العاليـة تطـوي الطريـق، فاقـترب قائـد القـوات الخاصـة مـن نبيـل وسـأله:

– من هذا يا سيادة الرائد؟

– نظر إليه نبيل ثم عاد لينظر إلى السيارة التي اقتربت:

– إنـه الرائـد نـادر، رجـل الداخليـة الخـارق، الرجـل الـذي لا يقهـر.

وقفت السيارة أمام الرائد نبيل وقائد القوات الخاصة، ونزل منها شاب يلبس حُلة أنيقة بينما انسدل شعره الناعم القصير الأصفر على جبهته، وعيناه الزرقاوان تلمعان في الظلام:

- أنا الرائد نادر.

وأنا نبيل.

- جيد، لقد تحادثنا قبل هذا.

- نعم سيادة الرائد.

- هل مراد بالداخل؟

- نعتقد هذا، ولقد سطع ضوء قوي منذ دقائق، وكنا نخطط للهجوم.

- لا داعٍ لهذا، سأدخل لأحضره بنفسي.

ثم أشار نادر نحو المخزن:

- هل ألسنة اللهب تلك تسطع منذ فترة.

أدار نبيل وجهه بسرعة:

- لا، لقد أُشعِلَت للتو.

خلع نادر سترته سريعًا وهو يعدو نحو المخزن ويقول:

- حاصروا المكان جيدًا، إنه يحاول الهرب.

هتف به نبيل:

- انتظر، خذ سلاحًا معك.

- لا أحتاجه.

قطع نادر المسافة إلى المخزن في ثوانٍ قليلة، وضرب بقدمه باب المخزن بعنف -لا يتناسب مع مظهره المدلل- ففتِحَ على مصراعيه، ومن وسط الدخان الكثيف لمح نادر مراد، ورآه مراد، وهجم نادر أولًا ولكن مراد انطلق نحوه وهبط بكفه عليه.

أو هذا ما خطط له، ولكن لدهشة مراد الشديدة فإن نادر تفادى يده، وأخرج من حزامه قيدًا أغلقه فوق معصم يده اليسرى وهو يلتفت خلفه، ولكن مراد لم يستسلم، لقد أدار يده اليمنى ليقبض على يد نادر، ولكن بسرعة رد فعل خارقة تفادى نادر يد مراد، ثم أمسكها هي الأخرى ليضعها في القيد خلف ظهر مراد.

وغلفت الدهشة مراد من شعره إلى أخمص قدميه.

صحيح أن التعب أصابه وأن المعركة مع محسن قد نالت منه، إلا أنه لم يتصور أن يتمكن أحد من وضع القيد في يده بهذه السهولة!

ولكن الدخان ملأ المكان، والمخزن نفسه بدأت ألواحه في التساقط، فدفع نادر مراد -المكبَّل- أمامه حتى وصلا إلى باب المخزن، وفي لحظة واحدة أدار مراد جسده وهو يطلق زئيرًا عاليًا، ليدفع جسد نادر خارج المخزن ثم يغلق باب المخزن بقدمه، في نفس اللحظة التي سقط بها جزءًا ضخمًا ليغلق باب المخزن المشتعل على مراد تمامًا، وقبل أن تمر لحظات انفجر المخزن بدوِيٍّ مخيف، ونجح نادر بصعوبة في تفادي الانفجار، بينما وقف نبيل وقواته يشاهدون الموقف وهم يعلمون أنه لا يمكن لأي كائن حي داخل المخزن أن يكون قد نجى من الانفجار.

ولقد كانوا جميعًا على حق؛ لقد احترق كل كائنٍ حيٍّ بالمخزن تمامًا.

النهاية

لقد انتهى مراد للأبد، انتهت أسطورة مَوكلي العرب وطرزان مصر، لقد وجدنا جثته متفحمة داخل المخزن والقيود في يده، بعد أن أغلق على نفسه المخزن المحترق. لقد علم اليوم أنه لا مفر من قبضة العدالة، فآثر الاحتراق. ولكن شيء أخير أود أن أقوله؛ نحن من صنع تلك الأسطورة الكاذبة حول همجي عاش مع الحيوانات، دون انضباط أو قواعد. المصريون من فعلوا هذا بأنفسهم؛ مجَّدوا قاتلًا. الأساطير موجودة حولكم، موجودة في رجالنا الذين يضحون بأنفسهم ليلًا ونهارًا لأمنكم.

كان العقيد رفقي يلقي هذا الخطاب، ونبيل يقف بجانب صديق له في نهاية القاعة التي امتلأت عن آخرها برجال الإعلام والصحافة، وصديقه يميل عليه هامسًا:

- يبدو سعيدًا لما حدث.

همس له نبيل بدوره:

- لقد نال ما كان يبتغيه، لقد أصبح الرجل الذي قتل مراد.

- أين نادر؟

- لـم يظهـر، ولـم يعـد حتـى للمديريـة، إنـه كارت أخيـر ولـن يسـمحو بحرقـه. هـو لا أحـد، لـم يكـن متواجـدًا، ولـن يعلـم أحـد بوجـوده.

- لقد ظُلِمَ هذا الشاب.

- كلنا مظلومون وظالمون بشكلٍ ما.

وظـلا يتابعـان المؤتمـر ككل المصرييـن. حتـى بكـر نفسـه ظـل يتابعـه بملامـح جامـدة.

حتـى عندمـا عـاد إلـى السيرك يطلـب عودتـه للعمـل، كان الاكتئـاب يغلفـه. لأول مـرة في حياتـه يجـد نفسـه يسـتجدي عملـه.

وظـل يخـدم الحيوانـات صامتًـا لمـدة أشـهر، ويـترك مهمـة تدريبهـم لمـن كانـوا مسـاعديه.

إنه يفتقد صديقه، وابنه الذي لم ينجبه.

حتـى عندمـا عـاد مـن فـرح خديجـة متأنقًـا، لـم يكـن يشـغل بالـه إلا هـو.

- مراد؟

هتف بذلك بكر -في دهشة- عندما وجد مراد ينتظره آخر سور السيرك في بقعة مظلمة:

- لقد اتفقنا ألا تقابلني يا مراد، هذا خطر على حياتك.

- هل قابلتها؟

- مَن، خديجة؟

ظهرت ملامح الأسى على وجهيهما، ومراد يقول:

- كان فرحها الليلة، أليس كذلك؟

- إنها تظن -كالجميع- أنك مت. ثم إنها تقول إنك جئت إليها بالحلم لتوصيها بأن تتزوج باسم.

- كان يجب أن تتزوج.

- لقد تخليت عنها يا مراد، لماذا لم تذهب إليها وتخبرها أنك حي وأنك تحبها؟

- ثم ماذا بعد؟

- تتزوجها.

- لقد تغيرت جيناتي للأبد يا عم بكر. وجود نسلي في هذه الدنيا يمكن أن ينتج مسوخًا.

ثم أطرق بناظرَيه نحو الأرض:

- هل بدت سعيدة؟

- ظاهريًّا فقط يا مراد، ولكن كل جزء منها يرفض هذا، ولولا هذا الحلم ما جرأت أن تفكر في الزواج.

هنا لم يتمالك مراد نفسه؛ أشاح بوجهه وانطلق يختفي في ظلمات الليل، وظل يتجول ويتجول -وهو يضع غطاءً رياضيًّا فوق رأسه، غطى به ملامح وجهه مع خصلة من شعره انسدلت لتغطي وجهًا مشوهًا، وقلبًا داميًا وغريزةً حيوانية تكاد أن تفتك بكل ما يقابلها- حتى أنهكه التعب.

وذهب إلى مقر إقامته الجديد، وأغلق عينيه ليتذكر آخر حوار له بتنزانيا:

- لا أريد أن أعود يا شيتارا.

- يجب أن تعود يا مراد.

- لا أريد أن أذهب إلى عالم البشر. كهفك هذا هو كل ما أريده. كل ما تعلمته كان هنا.

- لقد وجدتك طفلًا يافعًا، صاحب الأثنى عشرة أعوام، تعيش مع الأسود، فوجدت فيك قلبًا خاصًّا يستطيع أن يستوعب ما أقوله.

- لا أريد هذا العالم يا شيتارا.

- هذا الكهف لا يستطيع أحد أن يشعر بما يحدث في داخله، علمتك سحرًا ذو قوة جبارة، لا تستخدمها أمام أحد حتى لا يشعر بك الكتاب.

فتح مراد عينيه ليتذكر ما فعله في الأشهر الأخيرة، ويتأكد أن لا أحد رآه.

لقد تحرر من قيوده داخل عربة الترحيلات، وأطاح بالباب بعد أن تأكد أن حراسه فقدوا الوعي.

حلم فؤاد الذي اقتحمه وأقنعه فيه بالخروج من اللعبة. قوته التي حارب بها محسن كانت جزءًا من تدريبه. تخاطبه مع الحيوانات. وحلم خديجة، وإقناعها بالزواج.

حتى عندما تخلص من قيده ووضعه في معصمَي محسن واختفى من المخزن، كل ذلك كان سحرًا خالصًا.

تذكر عندما صارحته خديجة بحبها وكيف تردد من أن

يترك مهمته التي كلفه بها شيتارا، أو أن يضحي بحبه الذي صادفه في خديجة.

تذكر كيف حسم أمره بعد أن استطاعت الآلة نقل جينات الأسد إليه.

ثم أغلق عينيه ليتذكر آخر كلمات شيتارا:

- لا يمكن أن يشعر بك الكتاب، لا تجعل أي أحد يراك تمارس السحر كي لا يشعر بك الكتاب، يجب ألا يشعر بك كتاب بابل، لأنه عندما يحين الوقت يجب أن تكون قادرًا على سحق زياد، يجب أن تسحق ساحر بابل.[1]

تمت بحمد الله

د/ ياسر عبد السلام

(1) لمزيد من المعلومات حول الساحر شيتارا وساحر بابل، يرجى قراءة رواية: ساحر بابل.

ما بعد النهاية

- لقد بدأت أشعر بالملل، دكتور عادل.

كان آدم بجسده الضخم ورأسه الحليقة يجلس بجانب عادل في أحد المطاعم بقلب القاهرة.

- صبرًا آدم، لقد كدنا نصل لجميع الأهداف.

ثم احتسى رشفة من كوب القهوة خاصته، ثم سأل:

- هل استطعت تحديد مكان مراد؟

هز آدم رأسه الضخم إيجابًا:

- نعم، هو تحت يدي، أستطيع إحضاره عندما تطلب السيدة.

- جيد.

- صحيح، مَن الرائد نادر يا دكتور؟

- نادر نتاج تجربة علمية مجنونة لزميل لي، توفي عند نهايتها قبل أن يرى نتيجة ما فعل.

- هل ستخبرني عنه؟

- نعم، لأنه هدفنا القادم.

- أريد أن أعرف من أنت يا دكتور.

- إذا قلت لي من أنت يا آدم!

- لا بأس، فلنحضر نادرَ أولًا ثم لنحكي حكايتنا.

- إلى اللقاء.

الرواية المقبلة: الحرباء.

الروايات السابقة:

- آخر قرى الفراعنة.
- ساحر بابل.
- نيركا.